مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

تذكرة الملوك إلى أحسن السلوك

لمؤلف مجهول

تحقيق

د. تركي بن فهد بن عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود

جامعة الملك سعود

تذكرة الملوك إلى أحسن السلوك

لمؤلف مجهول

تحقيق

د. تركي بن فهد آل سعود

قسم التاريخ - جامعة الملك سعود

ⓒ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

دون مؤلف

تذكرة الملوك إلىٰ أحسن السلوك، / دون مؤلف؛ تركي بن فهد آل سعود - الرياض، ١٤٣٦هـ

٢٤٠ صفحة، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٣ - ٦٣ - ٨٠٣٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١. قانصوه الغوري، قانصوه بن عبدالله، ت ٩٢٢ هـ ٢. مصر - تاريخ - عصر المماليك. ٣. القضاء في الإسلام، أ. آل سعود، تركي بن فهد (محقق) . ب. العنوان.

ديوي ٩٥٣,٠٨٤ ١٤٣٦/٦٥٦٨

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٦٥٦٨

ردمك ٣ - ٦٣ - ٨٠٣٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولىٰ ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥ م

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣

المملكة العربية السعودية

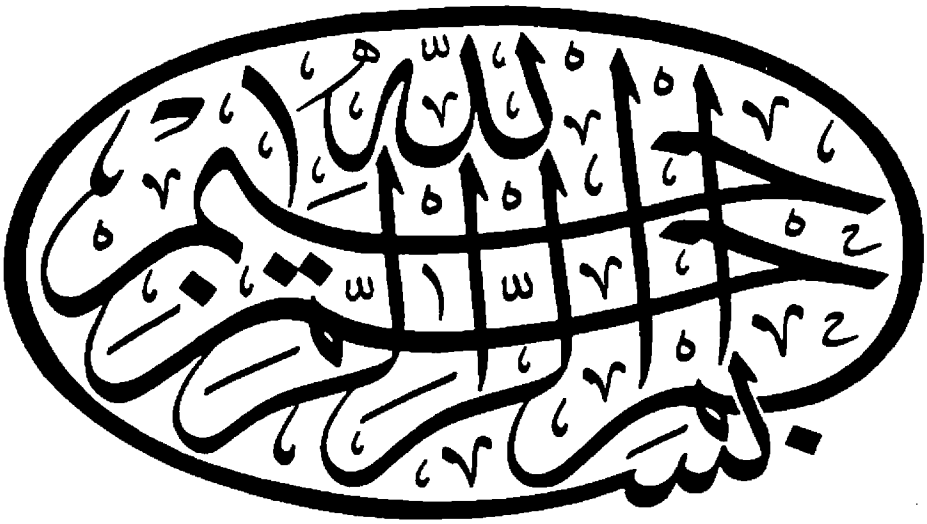

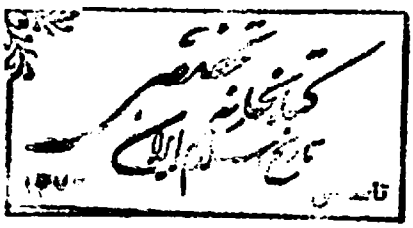
کتابخانه تخصصی
تاریخ اسلام و ایران

الفهرس

مقدمة المحقق	٩
مقدمة المؤلف	١٨
الباب الأول: فيما يلزم الملك من النظر لنفسه وصلاح رعيته	٢٦
الباب الثاني: فيما يلزم الوزير من نصيحة الملك	٧٢
الباب الثالث: فيما يتعلق بالقضاة والأحكام	١٠٠
الباب الرابع: في حفظ الجند ومراعاة أحوالهم	١٥٦
الهوامش	٢١٣
قائمة المصادر والمراجع	٢٣٣

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد الخلق أجمعين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فهذا كتاب (تذكرة الملوك إلىٰ أحسن السلوك) لمؤلف مجهول، جمع ما فيه ونسّقه لغرض إهدائه إلىٰ السلطان المملوكي الملك الأشرف قانصوه الغوري (٩٠٥-٩٢٢هـ/ ١٥٠٠-١٥١٦م). وقد نُسِخَ نسخة خزائنية لمكتبة السلطان المذكور، وهو المُتَّبع. فبقيت النسخة الخزائنية بديلاً لنسخة المؤلف التي قدّمها. ونسخها أحد متولي النسخ في خزانة السلطان، وكتب اسمه كما هو مُتَّبع في مثل هذه النسخ، وهو: جان تمر من ارْكماس. ولم يذكر تاريخ النسخ. وليس لهذا الكتاب نسخة أخرىٰ -فيما أعلم- وهذا

متوقَّع لأنه كُتِبَ للسلطان، ولم يُكتب لغيره من القراء. وهذا النوع من الكتب يكون فيه رسالة خاصة يريد المؤلف أو الجامع إيصالها إلىٰ المُهدَىٰ إليه، وهو صاحب القرار السياسي. ومن خلال قراءة هذا الكتاب، يجد القارئ أن تركيز مؤلفه كان علىٰ جانب القضاء، وقد قارن فيه مقارنات ذات مغزىٰ بين قضاة اختارهم بعناية وبين حال القضاء في أيام السلطان قانصوه الغوري. وكذلك ركز علىٰ الكيفية التي يراها مثالية في التعامل مع الجند. والكتاب أيضًا يحمل معلومات وتوجيهات تُرجِّح أن القضاء كان مركز اهتمامات مؤلفه وفيه رسالة مضمّنة للمُهدَىٰ إليه. وبناءً علىٰ ما سبق، فأرجِّح أن المؤلف كان قاضيًا للجيش، وعلىٰ الرغم من أنه لا دليل قاطع -حتىٰ الآن- علىٰ ترجيحي هذا، إلا أنه مبني علىٰ استقرائي للنص، وهذا الاستقراء كافٍ للترجيح ما لم يظهر دليل قاطع يخالفه. بالإضافة إلىٰ

أن هناك سوابق كثيرة لتأليف موظفي الدولة كتبًا ورسائل كثيرة موجّهة إلىٰ السلطان. كما احتوىٰ الكتاب علىٰ رسائل أخلاقية ليس لها علاقة مباشرة بموضوع الكتاب، إلا أنها تُشير، بلا شك، إلىٰ نظرة المؤلف إلىٰ مجتمعه، وآفاته الأخلاقية.

أما المخطوط، فهو كما ذُكر نسخة خزائنية نُسِخَت عن التي قدّمها المؤلف لتحفظ في خزانة كتب السلطان. وهي محفوظة في مكتبة أيا صوفيا برقم (٣١٤٤). وهي نسخة مذهّبة زُخرفت فيها صفحتا العنوان والخاتمة، وأُطِّرَت صفحاتها بإطار أحمر. كُتِبَ متنها بالمداد الأسود، ومُيِّزت بداية الفقرات الجديدة بكتابتها بمداد ذهبي أو أزرق أو أحمر، أما العناوين فمذهّبة. وكامل متنها مضبوط بالشكل، وقد حافظت علىٰ هذا في نشري له. أما نوع الخط فهو نسخي في كامل المخطوط،

إلا صفحة العنوان كُتبت بخط الثلث. ويبلغ عدد أوراقه إحدىٰ وخمسين ورقة، عدد أسطر الصفحة الواحدة سبعة أسطر. وكُتب نصّ وقفها علىٰ الورقة المقابلة لورقة الغلاف: «قد وقف هذه النسخة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظّم مالك البرّين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان بن السلطان، السلطان الغازي محمود خان، وقفًا صحيحًا شرعيًّا. حرَّره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين. غُفِرَ لهما» وتحته ختم المفتش.

وكان منهجي في التحقيق هو الإبقاء علىٰ المخطوط كما هو، إلا أنه كما ذُكر ليس بخط المؤلف، بل بخط ناسخ نسخه بتكليف من القائم علىٰ الخزانة السلطانية، ولهذا فالخطأ من الناسخ وارد جدًّا، ولكي لا يتّسع تعديل النص المحقق، عدّلت فقط تصحيف

الناسخ للأسماء والألفاظ واضحة التصحيف، ووضعت الصحيح بين معقوفين [ ] في المتن، ووضعت المُصحَّف في الهامش. وأحلت أحيانًا إلىٰ مصادر أخرىٰ أوردَت الحدث ليتبيّن التصحيف في المخطوط. أما الأخطاء اللغوية فأبقيتها كما هي في المتن، وأشرت إلىٰ صحّتها في الهامش. وكذلك اتَّبعت الرسم الإملائي المعاصر دون الإشارة إلىٰ اختلافه في المخطوط. وخرَّجتُ آيات القرآن الكريم، وعزوت الأحاديث النبوية إلىٰ كتب السنة، وعرَّفتُ بغير المشهور من الأعلام والمواضع والألفاظ والمصطلحات.

ولا يفوتني أن أشكر أخي الدكتور عبدالله بن محمد المنيف علىٰ مساعدته لي في الحصول علىٰ صورة للمخطوط. وكذلك أشكر أخي الدكتور عبد الرحمن بن ناصر السعيد الذي قابل معي النص، وأفادني

بملاحظات مهمة. والدكتور سهيل صابان الذي صحح لي قراءة كلمة في نص الوقف. وأسأل الله تعالىٰ التوفيق والسداد.

تركي بن فهد آل سعود

الرياض في ٢٣ جمادىٰ الآخرة ١٤٣٦هـ

قد وقف هذه النسخة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظّم مالك البرّين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان بن السلطان، السلطان الغازي محمود خان، وقفًا صحيحًا شرعيًّا. حرَّره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين. غُفِرَ لهما.

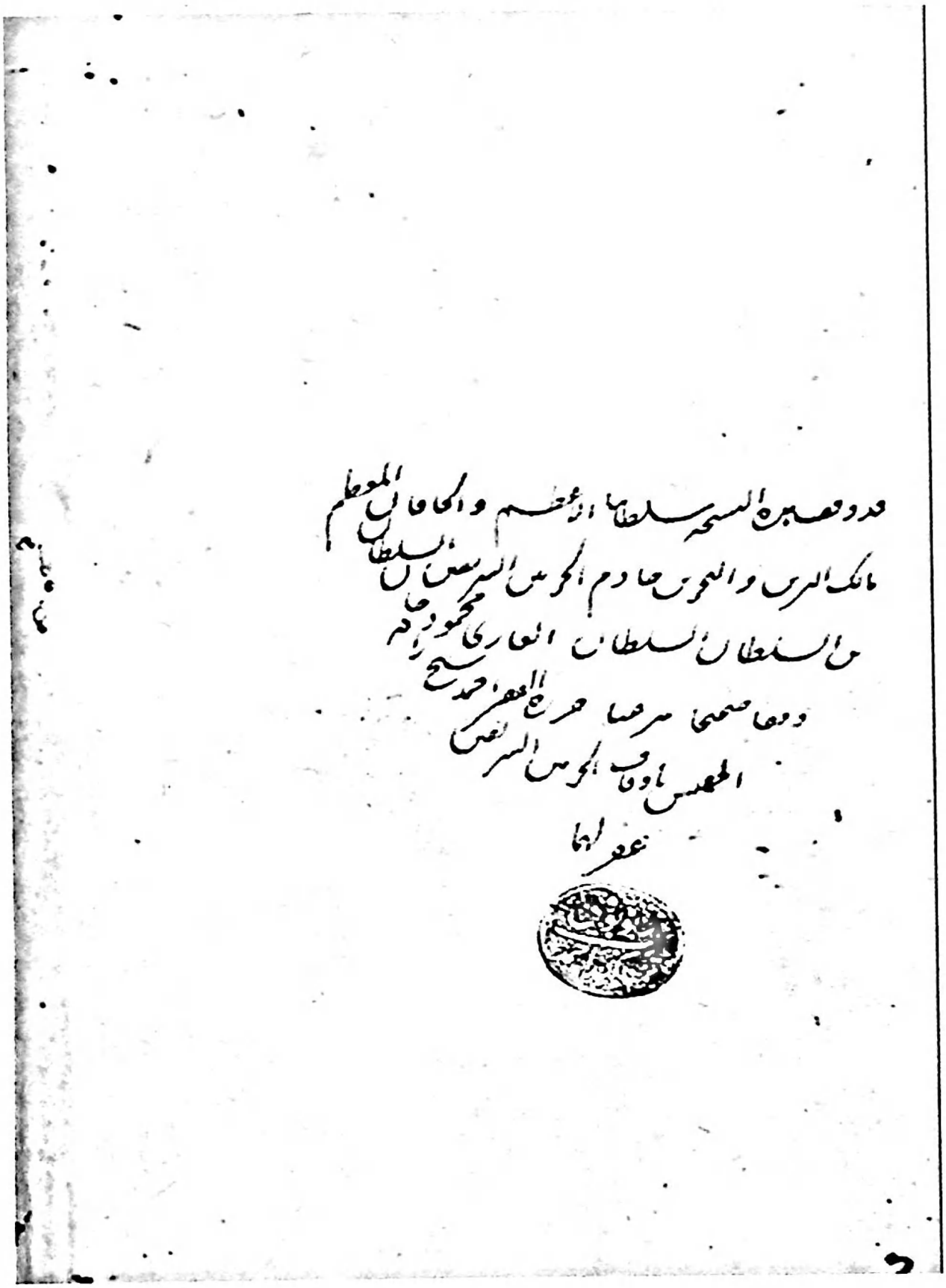

وقد وقف ابن السيحة سلطانها الأعظم والخاقان المعظم
مالك البر والبحر خادم الحرمين الشريفين السلطان
ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان
وقفا صحيحا شرعيا حرسه الله عز
المقدس أوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

كتاب تذكرة الملوك إلىٰ أحسن السُلوك

برسم

المقام الشريف ملك البرين

والبحرين مولانا السلطان

الملك الأشرف أبي النصر

قانصوه الغوري عَزَّ

نصره

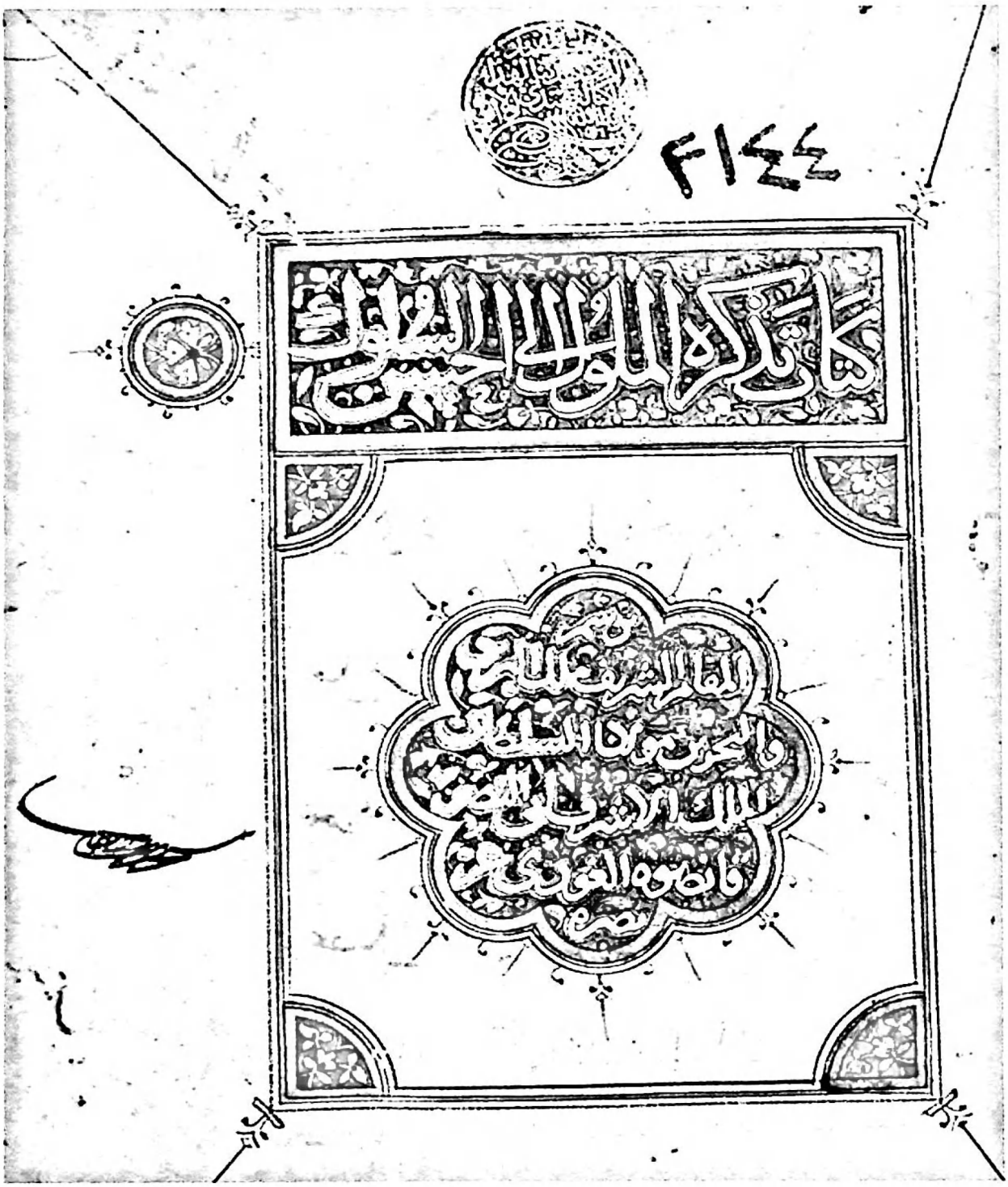
٤١٤٤

[٢/ أ] بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِدِيْنِ الإِسْلَامِ بِإِرْسَالِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ خَيْرِ الأَنَامِ، وَجَعَلَ مِنْ أُمَّتِهِ المُلُوْكَ وَالوُزَرَاءَ وَالحُكَّامَ، فَبِهِمْ يَنْتَصِفُ المَظْلُوْمُ مِنَ الظَّالِمِ بِالانْتِقَامِ، وَيَحْصُلُ الأَمْنُ بِالمَسِيرِ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، وَتُسَدُّ الثُغُورُ وَتُقَامُ شَعَائِرُ الإِسْلَامِ.

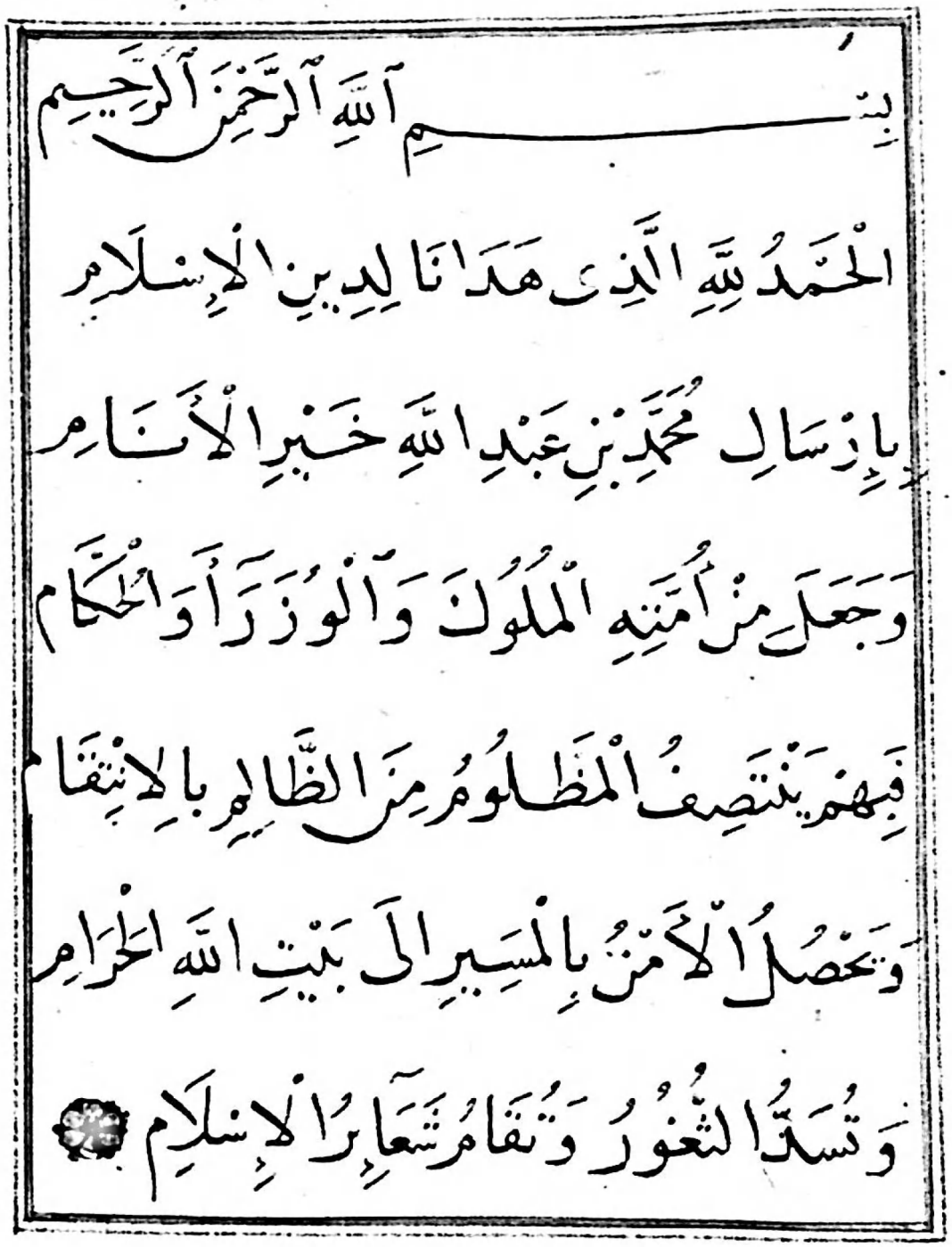
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِدِينِ الْإِسْلَامِ

بِإِرْسَالِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ خَيْرِ الْأَنَامِ

وَجَعَلَ مِنْ أُمَّتِهِ الْمُلُوكَ وَالْوُزَرَاءَ وَالْحُكَّامَ

فَبِهِمْ يَنْتَصِفُ الْمَظْلُومُ مِنَ الظَّالِمِ بِالِانْتِقَامِ

وَتَحْصُلُ الْأَمْنُ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ

وَتُسَدُّ الثُّغُورُ وَتُقَامُ شَعَائِرُ الْإِسْلَامِ

[٢/ب] وَيَحْصُلُ الجِهَادُ لِأَعْدَاءِ اللهِ اللِّئَامِ. وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ مَنْ صَلَّىٰ وَصَام، وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ السَّادَةِ الكِرَام، مَا طَلَعَ النَّهَارُ وَمَحَىٰ جُنْحَ الظَّلَام. أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا مَجْمُوْعٌ لَطِيْفٌ فِي سِيَرِ المُلُوْكِ وَالوُزَرَاءِ المُتَقَدِّمِينَ، وَالقُضَاةِ القَائِمِينَ بِأَحْكَامِ الدِّينِ،

٧

وَتَحْصُلُ الْجِهَادُ لِأَعْدَاءِ اللهِ اللِّئَامِ ۞
وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ مَنْ صَلَّى
وَصَامَ ۞ وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ السَّادَةِ
الْكِرَامِ ۞ مَا طَلَعَ النَّهَارُ وَمَحَى خُنَّسُ الظَّلَامِ
أَمَّا بَعْدُ فَهَذَا مَجْمُوعٌ لَطِيفٌ
فِي سِيَرِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ ۞
وَالْقُضَاةِ الْقَائِمِينَ بِأَحْكَامِ الدِّينِ ۞

[٣/أ] وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ العَدْلِ وَالإِنْصَافِ. وَرَتَّبْتُهُ أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ:

البَابُ الأَوَّلُ: فِيمَا يَلْزَمُ المَلِكَ مِنَ النَّظَرِ لِنَفْسِهِ وَصَلَاحِ رَعِيَّتِهِ.

البَابُ الثَّانِي: فِيمَا يَنُوبُ الوَزِيرَ مِنْ نَصِيحَةِ المَلِكِ وَرُجُوعِ المَلِكِ إِلَىٰ رَأْيِهِ.

البَابُ الثَّالِثُ: فِيمَا يَرْجِعُ إِلَىٰ القُضَاةِ القَائِمِينَ بِالأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ،

وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ

وَرَتَّبْتُهُ أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ الْبَابُ الْأَوَّلُ

فِيمَا يَلْزَمُ الْمَلِكَ مِنَ النَّظَرِ لِنَفْسِهِ وَصَلَاحِ

رَعِيَّتِهِ الْبَابُ الثَّانِي فِيمَا يَنُوبُ الْوَزِيرَ

مِنْ نَصِيحَةِ الْمَلِكِ وَرُجُوعِ الْمَلِكِ لِرَأْيِهِ

الْبَابُ الثَّالِثُ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى الْقُضَاةِ

الْقَائِمِينَ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ

[٣/ ب] وَالأُمُـورِ الدِّينِيَّـةِ.

البَـابُ الرَّابِـعُ: فِيمَـا يَلْـزَمُ مِـنْ حِفْـظِ الجُنْـدِ وَمُرَاعَـاةِ أَحْوَالِهِـمْ.

وَسَـمَّيْتُهُ (تَذْكِـرَةَ المُلُـوكِ إِلَـىٰ أَحْسَـنِ السُّـلُوكِ). وَاللهُ المُوَفِّـقُ لِلصَّـوَابِ، وَإِلَيْـهِ المَرْجِـعُ وَالمَـآبُ، وَهُـوَ حَسْـبِي وَنِعْـمَ الوَكِيـلُ، وَلَا حَـوْلَ وَلَا قُـوَّةَ إِلَّا بِـاللهِ العَلِـيِّ العَظِيـمِ.

البَابُ الأَوَّلُ

وَالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ الْبَابُ الرَّابِعُ فِيمَا
يَلْزَمُ مِنْ حِفْظِ الْجُنْدِ وَمُرَاعَاةِ أَحْوَالِهِمْ
وَسَمَّيْتُهُ تَذْكِرَةَ الْمُلُوكِ إِلَى أَحْسَنِ
السُّلُوكِ ❁ وَاللهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ ❁
وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ ❁ وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

الْبَابُ الْأَوَّلُ

[٤/ أ] فِيمَا يَلْزَمُ المَلِكَ مِنَ النَّظَرِ لِنَفْسِهِ وَصَلَاحِ رَعِيَّتِهِ

فَأَوَّلُ ذَلِكَ: مَا رَوَىٰ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ

فمما يلزم الملك من النظر لنفسه وصلاح
رعيته فأول ذلك ما روى الشيخان
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم
الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ۞ إمام
عادل ۞ وشاب نشأ في عبادة الله ۞
ورجل قلبه معلق بالمساجد ۞ ورجلان

[٤/ب] تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[1]. وَرَوَىٰ الشَّيْخَانِ أَيْضًا، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ

تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ۞
وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ
فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ ۞ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ
بِصَدَقَةٍ أَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا
تُنْفِقُ يَمِينُهُ ۞ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا
فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ وَرَوَى الشَّيْخَانِ أَيْضًا
عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ

[٥/ أ] رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ

رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ

وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي

أَهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ

رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ

رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ

وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ۞ الْإِمَامُ
رَاعٍ وَمَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ۞ وَالرَّجُلُ رَاعٍ
فِي أَهْلِهِ وَمَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ۞ وَالْمَرْأَةُ
رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُلَةٌ عَنْ
رَعِيَّتِهَا ۞ وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ
وَمَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ۞ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ

[٥/ب] وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[٢].

وَرَوَىٰ ابْنُ مَاجَةَ، والبَزَّارُ واللَّفْظُ لَهُ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي الأَرْضِ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِنْ عَدَلَ كَانَ لَهُ الأَجْرُ، وَكَانَ عَلَىٰ الرَّعِيَّةِ الشُّكْرُ، وَإِنْ جَارَ أَوْ [حَافَ](*) أَوْ ظَلَمَ كَانَ عَلَيْهِ الوِزْرُ،

(*) فِي الأَصْلِ: «خَافَ»، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ وَالْبَزَّارُ
وَاللَّفْظُ لَهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ السُّلْطَانُ
ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ
مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ فَإِنْ عَدَلَ كَانَ لَهُ
الْأَجْرُ وَكَانَ عَلَى الرَّعِيَّةِ الشُّكْرُ
وَإِنْ جَارَ أَوْ خَافَ أَوْ ظَلَمَ كَانَ عَلَيْهِ الْوِزْرُ

١

[٦/أ] وَعَلَىٰ الرَّعِيَّةِ الصَّبْرُ، وَإِذَا جَارَتِ الوُلَاةُ قُحِطَتِ السَّمَاءُ، وَإِذَا مُنِعَتِ الزَّكَاةُ هَلَكَتِ المَوَاشِي، وَإِذَا ظَهَرَ الزِّنَا ظَهَرَ الفَقْرُ وَالمَسْكَنَةُ، وَإِذَا أُخْفِرَتِ الذِّمَّةُ أُدِيلَ الكُفَّارُ»، أَوْ كَلِمَةٌ نَحْوَهَا(٣).

فَالوَاجِبُ عَلَىٰ مَنْ قَلَّدَهُ [اللهُ] الوِلَايَةَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يُرَاعِيَ حُدُودَ اللهِ بِإِقَامَةِ

وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الصَّبْرُ وَإِذَا جَارَتِ الْوُلَاةُ
قُحِطَتِ السَّمَاءُ وَإِذَا مُنِعَتِ الزَّكَاةُ
هَلَكَتِ الْمَوَاشِي وَإِذَا ظَهَرَ الزِّنَا
ظَهَرَ الْفَقْرُ وَالْمَسْكَنَةُ وَإِذَا أُخْفِرَتِ
الذِّمَّةُ أُدِيلَ الْكُفَّارُ وَكَلِمَةٌ نَحْوُهَا
فَالْوَاجِبُ عَلَى مَنْ قَلَّدَهُ الْوِلَايَةَ عَلَى
أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يُرَاعِيَ حُدُودَ اللَّهِ بِإِقَامَةِ

[٦/ب] الوَاجِبِ فِيهَا، فَلَا أَحَدَ أَشْفَقُ مِنَ الخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِارْتِكَابِ المَحْظُورَاتِ تَوَاعَدَ بِالعُقُوبَةِ. وَالمُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُوْنَ المَلِكُ رَحِيمَ القَلْبِ مَعَ إِقَامَةِ الحُدُودِ الَّتِي نَدَبَ اللهُ إِلَيْهَا فِي كِتَابِهِ، وَرَسُولُهُ فِي سُنَّتِهِ، وَالشَّفَقَةُ عَلَىٰ خَلْقِ اللهِ مِنْ شَعَائِرِ الإِيمَانِ.

وَكَانَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ

الْوَاجِبِ فِيهَا فَلَا أَحَدَ أَشْفَقُ مِنَ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ
وَبِارْتِكَابِ الْمَحْظُورَاتِ نَوَاعِدَ بِالْعُقُوبَةِ
وَالْمُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ رَحِيمَ الْقَلْبِ
مَعَ إِقَامَةِ الْحُدُودِ الَّتِي نَدَبَ اللَّهُ إِلَيْهَا
فِي كِتَابِهِ وَرَسُولُهُ فِي سُنَّتِهِ ۞ وَالشَّفَقَةُ
عَلَى خَلْقِ اللَّهِ مِنْ شَعَائِرِ الْإِيمَانِ وَكَانَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ

[٧/ أ] عَنْهُ، يَخْرُجُ كُلَّ لَيْلَةٍ مَعَ العَسَسِ

حَتَّىٰ يَرَىٰ خَلَلاً يَتَدَارَكُهُ، وَكَانَ يَقُولُ:

لَوْ تُرِكَتْ عَنْزٌ جَرْبَاءَ عَلَىٰ جَانِبِ سَاقِيَةٍ

لَمْ تُدْهَنْ، لَخَشِيتُ أَنْ أُسْأَلَ يَوْمَ القِيَامَةِ.

وَقَدْ قَالَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ:

إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ،

وَزَهِدَ عَنْ قُدْرَةٍ، وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ.

وَقَالَ بَعْضُ الحُكَمَاء:

عَنْهُ تَخْرُجُ كُلَّ لَيْلَةٍ مَعَ الْعَسَسِ حَتَّى يَرَى
خَلَلًا يَتَدَارَكُهُ وَكَانَ يَقُولُ لَوْ تُرِكْتُ
عَنْزٌ جَرْبَا عَلَى جَانِبِ سَاقِيَةٍ لَمْ تُذْهَنْ
لَخَشِيتُ أَنْ أُسْأَلَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقَدْ قَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ
مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ ❁ وَزَهِدَ عَنْ قُدْرَةٍ
وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَا

[٧/ ب] التَّوَاضُعُ فِي الشَّرَفِ أَشْرَفُ مِنَ الشَّرَفِ، وَالمُلُوْكُ أَعْلَىٰ النَّاسِ هِمَمًا، وأَبْسَطُهُمْ يَدًا، فَلِذَلِكَ كَانَ الكِبْرُ وَالإِعْجَابُ بِهِمْ أَقْبَحَ، وَأَثَرُهُ عَلَيْهِمْ أَفْضَحَ. وَيَنْبَغِيْ لِلْمَلِكِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ مَا قَلَّدَهُ اللهُ مِنْ أُمُورِ الرَّعِيَّةِ بِالاسْتِشْرَافِ عَلَىٰ أَحْوَالِهِمْ، وَأَنْ يَعْتَمِدَ عَلَىٰ رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ وَالأَمَانَةِ،

التَّوَاضُعُ فِي الشَّرَفِ أَشْرَفُ مِنَ الشَّرَفِ

وَالْمُلُوكُ أَعْلَى النَّاسِ هِمَمًا وَأَبْسَطُهُمْ يَدًا

فَلِذَلِكَ كَانَ الْكِبْرُ وَالْإِعْجَابُ بِهِمْ

أَقْبَحَ وَأَثَرُهُ عَلَيْهِمْ أَفْضَحَ وَيَنْبَغِي لِلْمَلِكِ

أَنْ يَنْظُرَ لِمَا قَلَّدَهُ اللَّهُ مِنْ أُمُورِ الرَّعِيَّةِ

بِالِاسْتِشْرَافِ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَأَنْ يَعْتَمِدَ

عَلَى رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ وَالْأَمَانَةِ

[٨/ أ] بِـأَنْ يَجْعَلَهُـمْ عُيُونًـا لَـهُ لِكَشْـفِ المَظَالِـمِ، وَرَدْعِ أَهْـلِ المُنْكَـرِ، وَكَـفِّ الغُـوَاةِ وَالمُتَعَصِّبِيـنَ فِـي الفِتَـنِ؛ فَـإِنَّ ذَلِـكَ مِمَّـا تَحْسُـنُ بِـهِ سِـيرَةُ المَلِـكِ، وَيُدْعَـا لَـهُ بِالتَّوْفِيـقِ، وَيَقْتَـدَي بِعَدْلِـهِ مَـنْ يُدَانِيـهِ مِـنَ الأَمْصَـارِ.

وَحُكِـيَ أَنَّ أَمِيـرَ المُؤْمِنِيـنَ عُمَـرَ بْـنَ الخَطَّـابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَطُـوفُ أَزِقَّـةَ المَدِيْنَـةِ

بِأَنْ تَجْعَلَهُمْ عُيُونًا لَهُ لِكَشْفِ الْمَظَالِمِ وَرَدْعِ
أَهْلِ الْمُنْكَرِ وَكَفِّ الْغُوَاةِ وَالْمُتَعَصِّبِينَ
فِي الْفِتَنِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا تَحْسُنُ بِهِ سِيرَةُ
الْمَلِكِ وَيُدْعَالَهُ بِالتَّوْفِيقِ وَتَقْتَدِي
بِعَدْلِهِ مَنْ يُدَانِيهِ مِنَ الْأَمْصَارِ
وَحُكِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَطُوفُ أَزِقَّةَ الْمَدِينَةِ

[٨/ ب] فَسَمِعَ صَوْتًا يَقُولُ: وَيْلَ أُمِّ عُمَرَ، أَسْهَرُ لَيْلِيْ وَأَمُوتُ بِغُصَّتِي وَأَلْقَىٰ اللهَ بِفَاقَتِي، وَهُوَ يَتَوَلَّىٰ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ. فَقَرَعَ البَابَ، فَقِيلَ: مَنْ بِالبَابِ؟ فَقَالَ: العَبْدُ المُقَصِّرُ فِي شَأْنِ رَعِيَّتِهِ. فَخَرَجَتْ عَجُوزٌ شَمْطَاء حَتَّىٰ وَقَفَتْ بِالبَابِ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا أُخْتَاهُ، مَا فَاقَتُكِ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ مَا تُكِنُّ البُيُوتُ،

فَسَمِعَ صَوْتًا يَقُولُ وَيْلَ أُمِّ عُمَرَ أَسْهَرَ لَيْلِي
وَأُمُوتُ بِغُصَّتِي وَأَلْقَى اللَّهَ بِمَا فِيَّ ۞ وَهُوَ
يَتَوَلَّى أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ ۞ فَقَرَعَ الْبَابَ
فَقِيلَ مَنْ بِالْبَابِ فَقَالَ الْعَبْدُ الْمُقَصِّرُ
فِي شَأْنِ رَعِيَّتِهِ فَخَرَجَتْ عَجُوزٌ شَمْطَاءُ حَتَّى
وَقَفَتْ بِالْبَابِ فَقَالَ عُمَرُ يَا أُخْتَاهُ ۞
مَا فَاتَنَكِ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ مَا تَكُنُّ الْبُيُوتُ

[٩/ أ] وَإِنَّمَا جُهْدِي أَتَحَسَّسُ لِأَقِفَ عَلَىٰ حَاجَةِ المُحْتَاجِ وَفَاقَةِ ذِي الفَاقَةِ؛ فَهَلَّا رَفَعْتِ إِلَيَّ أَمْرَكِ؟ فَقَالَتْ: يَا عُمَرُ، إِنْ قَبِلَ اللهُ مِنْكَ هَذَا العُذْرَ فَقَدْ نَجَوْتَ. فَشَهِقَ عُمَرُ شَهْقَةً خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ سَأَلَهَا حَاجَتَهَا، فَذَكَرَتْ لَهُ جُوعَ أَطْفَالِهَا، فَذَهَبَ مِنْ فَوْرِهِ وَحَمَلَ عِدْلَ دَقِيْقٍ عَلَىٰ

وَإِنَّمَا جُهْدِي أَنْ تَحَسَّسَ لَأَقِفَ عَلَى حَاجَةِ الْمُحْتَاجِ
وَفَاقَةِ ذِي الْفَاقَةِ ۞ فَهَلَّا رَفَعْتَ إِلَيَّ
أَمْرَكِ فَقَالَتْ يَا عُمَرُ إِنْ قَبَّلَ اللَّهُ مِنْكَ
هَذَا الْعُذْرَ فَقَدْ نَجَوْتَ ۞ فَشَهِقَ عُمَرُ
شَهْقَةً خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ۞ فَلَمَّا أَفَاقَ
سَأَلَهَا حَاجَتَهَا فَذَكَرَتْ لَهُ جُوعَ أَطْفَالِهَا
فَذَهَبَ مِنْ فَوْرِهِ وَحَمَلَ عِدْلَ دَقِيقٍ عَلَى

[٩/ب] عَاتِقِهِ، [وَمِخْرَفَ] (*) (٤)

تَمْرٍ وَأَتَاهَا بِهِ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهَا، فَبَكَتْ

وَقَالَتْ: مَنْ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَكَ يَتَذَلَّلُونَ

عَلَيْهِ؟ لَا أَعْدَمَهُمُ اللهُ حَيَاتَكَ يَا عُمَرُ.

وَحُكِيَ أَنَّ المَأْمُونَ رَحِمَهُ اللهُ

كَانَ يَجْلِسُ لِلْمَظَالِمِ فِي يَوْمِ الأَحَدِ،

فَنَهَضَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ مَجْلِسِهِ فَتَلَقَّتْهُ

امْرَأَةٌ فِي ثِيَابٍ بَذَاذَةٍ(٥)، فَقَالَتْ:

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدَىٰ لَهُ الرَّشَدُ

(*) فِي الأَصْلِ: «وَمِحْرَفَ»، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

عَانِقِهِ وَمحْرَفَ تَمْرٍ وَأَتَاهَا بِهِ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهَا
فَبَكَتْ وَقَالَتْ مَنْ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَكَ يَتَذَلَّلُونَ
عَلَيْهِ ۞ لَا أَعْدَمَهُمُ اللَّهُ حَيَاتَكَ يَا عُمَرُ
وَحُكِيَ أَنَّ الْمَأْمُونَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ
يَجْلِسُ لِلْمَظَالِمِ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ فَنَهَضَ ذَاتَ
يَوْمٍ مِنْ مَجْلِسِهِ فَتَلَقَّتْهُ امْرَأَةٌ فِي ثِيَابٍ ۞
بَذَاذَةٍ فَقَالَتْ يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدَى لَهُ الرَّ
شَدُ

[١٠/ أ]

وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَفَ البَلَدُ

تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ المُلْكِ أَرْمَلَةٌ

عَدَا عَلَيْهَا فَمَا تَقْوَىٰ بِهِ أَسَدُ

ابْتَزَّ مِنْهَا ضِيَاعًا بَعْدَ مَنْعَتِهَا

لَمَّا تَفَرَّقَ عَنْهَا الأَهْلُ وَالوَلَدُ

فَأَطْرَقَ المَأْمُوْنُ يَسِيْرًا ثُمَّ رَفَعَ

رَأْسَهُ وَقَالَ:

مِنْ دُونِ مَا قُلْتِ عِيلَ الصَّبْرُ وَالجَلَدُ

وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أُشْرَفَ الْبَلَدُ

تَشْكُوا إِلَيْكَ عَمِيدَ الْمُلْكِ أَرْمَلَةٌ

عَدَا عَلَيْهَا فَمَا تَقْوَى بِهِ أَسَدُ

ابْتَزَّ مِنْهَا ضِيَاعًا بَعْدَ مَنْعَتِهَا

لَمَّا تَفَرَّقَ عَنْهَا الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ

فَأَطْرَقَ الْمَأْمُونُ يَسِيرًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ

مِنْ دُونِ مَا قُلْتِ عِيلَ الصَّبْرُ وَالْجَلَدُ

[١٠/ ب]

وَأَقْرَحَ القَلْبَ مِنِّي الحُزْنُ وَالكَمَدُ

هَذَا أَوَانُ صَلَاةِ الظُّهْرِ فَانْصَرِفِي

وَأَحْضِرِيْ الخَصْمَ فِي اليَوْمِ الَّذِي أَعِدُ

ثُمَّ قَالَ لَهَا: أَحْضِرِي خَصْمَكِ

فِي يَوْمِ الأَحَدِ، فَانْصَرَفَتْ ثُمَّ حَضَرَتْ

فِي يَوْمِ الأَحَدِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ، فَقَالَ

لَهَا المَأْمُونُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيْنَ خَصْمُكِ؟

فَقَالَتْ: القَائِمُ عَلَىٰ رَأْسِكَ العَبَّاسُ

١٠

وَأَفْرَحَ الْقَلْبَ مِنِّي الْحُزْنُ وَالْكَمَدُ ۞

۞ هَذَا أَوَانُ صَلَاةِ الظُّهْرِ فَانْصَرِفِي

وَأَحْضِرِي الْخَصْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُ ثُمَّ قَالَ

لَهَا أَحْضِرِي خَصْمَكِ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ فَانْصَرَفَتْ

ثُمَّ حَضَرَتْ فِي يَوْمِ الْاَحَدِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ

فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْنَ

خَصْمُكِ فَقَالَتِ الْقَائِمُ عَلَى رَأْسِكَ الْعَبَّاسُ

[١١/أ] بْـنُ أَمِيـرِ المُؤْمِنِيـنَ. فَقَـالَ المَأْمُـونُ لِقَاضِيـهِ يَحْيَـىٰ بْـنُ أَكْثَـمَ(٦)، وَقِيـلَ: بَـلْ قَـالَ لِوَزِيـرِهِ أَحْمَـدَ بْـنِ أَبِـي خَالِـدٍ(٧): أَجْلِسْـهَا مَعَـهُ وَانْظُـرْ بَيْنَهُمَـا. فَأَجْلَسَـهَا مَعَـهُ وَنَظَـرَ بَيْنَهُمَـا بِحَضْـرَةِ المَأْمُـونِ، فَجَعَـلَ كَلَامُهَـا يَعْلُـو فَزَجَرَهَـا بَعْـضُ حُجَّابِـهِ، فَقَـالَ: دَعْهَـا فَـإِنَّ الحَـقَّ أَنْطَقَهَـا وَالبَاطِـلَ أَخْرَسَـهُ. وَأَمَـرَ بِـرَدِّ ضِيَاعِهَـا. فَانْظُـرْ

بْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِقَاضِيهِ
يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ وَقِيلَ بَلْ قَالَ لِوَزِيرِهِ أَحْمَدَ
بْنِ أَبِي خَالِدٍ اجْلِسْهَا مَعَهُ وَانْظُرْ بَيْنَهُمَا ۞
فَأَجْلَسَهَا مَعَهُ وَنَظَرَ بَيْنَهُمَا بِحَضْرَةِ الْمَأْمُونِ
فَجَعَلَ كَلَامُهَا يَعْلُو فَزَجَرَهَا بَعْضُ حُجَّابِهِ
فَقَالَ دَعْهَا فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْطَقَهَا وَالْبَاطِلَ
أَخْرَسَهُ وَأَمَرَ بِرَدِّ ضِيَاعِهَا ۞ فَانْظُرْ

[١١/ب] أَيُّهَا المَلِكُ المُؤَيَّدُ بِحُسْنِ التَّوْفِيقِ إِلَىٰ عَدْلِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ المَأْمُونِ، وَمَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنَ الإِنْصَافِ والانْتِصَافِ مِنْ وَلَدِهِ، وَرَدِّ الحُقُوقِ إِلَىٰ أَهْلِهَا.

حَكَىٰ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ(٨) [عَنْ أَبِيهِ] قَالَ: رَأَيْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَطُوْفُ مَعَ العَسَسِ، فَتَبِعْتُهُ وَقُلْتُ: أَتَأْذَنُ أَنْ أَصْحَبَكَ؟ فَقَالَ:

أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ بِحُسْنِ التَّوْفِيقِ إِلَى عَدْلِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَأْمُونِ ۞ وَمَا خَصَّهُ اللَّهُ
بِهِ مِنَ الْإِنْصَافِ وَالِانْتِصَافِ مِنْ وَلَدِهِ
وَرَدِّ الْحُقُوقِ إِلَى أَهْلِهَا حَكَى زَيْدُ بْنُ
أَسْلَمَ قَالَ رَأَيْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي عُمَرَ بْنَ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَطُوفُ مَعَ الْعَسَسِ
فَتَبِعْتُهُ وَقُلْتُ أَتَأْذَنُ أَنْ أَصْحَبَكَ فَقَالَ

[١٢/أ] نَعَمْ. فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ

المَدِيْنَةِ رَأَيْنَا نَارًا مِنْ بُعْدٍ، فَقُلْنَا: رُبَّمَا

يَكُونُ هُنَاكَ مُسَافِرٌ، فَقَصَدْنَا النَّارَ

فَرَأَيْنَا امْرَأَةً مَعَهَا ثَلَاثَةُ أَطْفَالٍ صِغَارٍ

وَهُمْ يَبْكُونَ، وَقَدْ صَنَعَتْ لَهُمْ قِدْرًا

عَلَىٰ النَّارِ وَهْيَ تَقُولُ: إِلَهِيْ أَنْصِفْنِي

مِنْ عُمَرَ، وَخُذْ لِي مِنْهُ بِالحَقِّ فَإِنَّهُ

شَبْعَانُ وَنَحْنُ جِيَاعٌ. فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ

نَعَمْ فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ رَأَيْنَا نَارًا
مِنْ بُعْدٍ فَقُلْنَا رُبَّمَا يَكُونُ هُنَاكَ مُسَافِرٌ
فَقَصَدْنَا النَّارَ فَرَأَيْنَا امْرَأَةً مَعَهَا ثَلَاثَةُ
أَطْفَالٍ صِغَارٍ وَهُمْ يَبْكُونَ وَقَدْ صَنَعَتْ
لَهُمْ قِدْرًا عَلَى النَّارِ وَهِيَ تَقُولُ إِلَهِي أَنْصِفْنِي
مِنْ عُمَرَ ۞ وَخُذْلِي مِنْهُ بِالْحَقِّ فَإِنَّهُ
شَبْعَانُ وَنَحْنُ جِيَاعٌ ۞ فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ

[١٢/ب] ذَلِكَ تَقَدَّمَ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا

وَقَالَ: أَتَأْذَنِينَ أَنْ أَدْنُوَ مِنْكِ؟ فَقَالَتْ:

إِنْ دَنَوْتَ لِخَيْرٍ فَبِسْمِ اللهِ. فَتَقَدَّمَ عُمَرُ

وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا وَحَالِ أَطْفَالِهَا.

فَقَالَتْ: وَصَلْتُ وَهَؤُلَاءِ الأَطْفَالُ

مَعِي مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، والأَطْفَالُ جِيَاعٌ

وَقَدْ بَلَغَ مِنِّي وَمِنْهُمُ الجَهْدُ، وَالجُوعُ

قَدْ مَنَعَهُمْ مِنَ الهُجُوعِ. فَقَالَ عُمَرُ:

ذَلِكَ تَقَدَّمَ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَقَالَ أَنَا أُذَنِّبُ
أَنْ أَدْنُوَ مِنْكِ فَقَالَتْ إِنْ دَنَوْتَ لَخَبَّرْتُ
فَبِسْمِ اللهِ فَتَقَدَّمَ عُمَرُ وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا وَحَالِ
أَطْفَالِهَا ❁ فَقَالَتْ وَصَلْتَ وَهَؤُلَاءِ
الْأَطْفَالُ مَعِي مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَالْأَطْفَالُ
جِيَاعٌ وَقَدْ بَلَغَ مِنِّي وَمِنْهُمُ الْجَهْدُ وَالْجُوعُ
قَدْ مَنَعَهُمْ مِنَ الْهُجُوعِ ❁ فَقَالَ عُمَرُ

[١٣/ أ] أَيُّ شَـيءٍ فِـي القِـدْرِ؟ فَقَالَـتْ:

فِيهَـا مَـا أُشَـاغِلُهُمْ بِـهِ لِيَظُنُّـوا أَنَّـهُ طَعَـامٌ

فَيَصْبِرُوا. قَـالَ زَيْـدٌ: فَعَـادَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ

إِلَـىٰ دُكَّانِ بَيَّـاعِ الدَّقِيـقِ فَابْتَـاعَ مِنْـهُ مِـلْءَ

جِـرَابٍ، وَمَضَـىٰ إِلَـىٰ دُكَّانِ القَصَّـابِ

وَابْتَـاعَ مِنْـهُ دَسَـمًا، وَوَضَـعَ الجَمِيـعَ

عَلَـىٰ كَاهِلِـهِ وَحَمَلَـهُ يَطْلُـبُ بِـهِ المَـرْأَةَ

وَالأَطْفَـالَ. فَقُلْـتُ(*): يَـا أَمِيرَ المُؤْمِنِيـنَ

(*) الحَدِيثُ هُنَا لأسْلَم.

أَيُّ شَيْءٍ فِي الْقِدْرِ فَقَالَتْ فِيهَا مَا أُشَاغِلُهُمْ
بِهِ لِيَظُنُّوا أَنَّهُ طَعَامٌ فَيَصْبِرُوا فَقَالَ
زَيْدٌ فَعَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى دُكَّانِ بَبَّاعِ
الدَّقِيقِ فَابْتَاعَ مِنْهُ مِلْ جِرَابٍ ❁ وَمَضَى إِلَى
دُكَّانِ الْقَصَّابِ وَابْتَاعَ مِنْهُ دَسَمًا
وَوَضَعَ الْجَمِيعَ عَلَى كَاهِلِهِ وَحَمَلَهُ يَطْلُبُ
بِهِ الْمَرْأَةَ وَالْأَطْفَالَ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

[١٣/ ب] نَاوِلْنِيهِ لِأَحْمِلَهُ عَنْكَ. قَالَ:

إِنْ حَمَلْتَهُ فَمَنْ يَحْمِلُ ذُنُوْبِي، وَمَنْ

يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ دُعَاءِ تِلْكَ المَرْأَةِ

عَلَيَّ. وَجَعَلَ يَسْعَىٰ وَيَبْكِي إِلَىٰ أَنْ

وَصَلْنَا إِلَىٰ المَرْأَةِ، فَقَالَتْ المَرْأَةُ:

جَزَاكَ اللهُ عَنِّي خَيْرًا. فَأَخَذَ عُمَرُ شَيْئًا

مِنَ الدَّقِيقِ وَشَيْئًا مِنَ الدَّسَمِ فَوَضَعَهُ فِي

القِدْرِ وَجَعَلَ يُوقِدُ النَّارَ، وَكُلَّمَا أَرَادَتْ

نَاوِلْنِيهِ لِأَحْمِلَهُ عَنْكَ ۞ قَالَ إِنْ حَمَلْتَهُ
فَمَنْ يَحْمِلْ ذُنُوبِي وَمَنْ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ
دُعَاءِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ عَلَيَّ ۞ وَجَعَلَ يَسْعَى وَيَبْكِي
إِلَى أَنْ وَصَلْنَا إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ
جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا ۞ فَأَخَذَ عُمَرُ شَيْئًا
مِنَ الدَّقِيقِ وَشَيْئًا مِنَ الدَّسَمِ فَوَضَعَهُ فِي
الْقِدْرِ وَجَعَلَ يُوقِدُ النَّارَ وَكُلَّمَا أَرَادَتْ

[١٤/أ] أَنْ تَخْمَدَ نَفَخَهَا، وَكَانَ الرَّمَادُ عَلَىٰ وَجْهِهِ وَمَحَاسِنِهِ حَتَّىٰ اسْتَوَىٰ الطَّبِيخُ، فَوَضَعَهُ فِي القَصْعَةِ وَقَالَ لِلأَطْفَالِ: كُلُوا. وَأَكَلَتِ المَرْأَةُ وَالأَطْفَالُ. فَقَالَ: أَيُّهَا المَرْأَةُ لَا تَدْعِي عَلَىٰ عُمَرَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْكِ وَمِنْ أَطْفَالِكِ خَبَرٌ.

وَمِمَّا يَعْتَدُّ بِهِ المُلُوكُ مِنَ الخِلَالِ الَّتِي نُدِبَ إِلَيْهَا أَنْ يَكُوْنَ ذَا شَجَاعَةٍ

أَنْ نَحْمَدَ نَفْخَهَا وَكَانَ الرَّمَادُ عَلَى وَجْهِهِ
وَمَحَاسِنِهِ حَتَّى اسْتَوَى الطَّبِيخُ فَوَضَعَهُ فِي
الْقَصْعَةِ وَقَالَ لِلْأَطْفَالِ كُلُوا وَأَكَلَتِ
الْمَرْأَةُ وَالْأَطْفَالُ ۞ فَقَالَ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ
لَا تَدَّعِي عَلَى عُمَرَ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْكِ
وَمِنْ أَطْفَالِكِ خَبَرٌ وَمِمَّا يَعْتَدُّ بِهِ الْمُلُوكُ
مِنَ الْخِلَالِ الَّتِي نُدِبَ إِلَيْهَا أَنْ يَكُونَ ذَا شَجَاعَةٍ

[١٤/ب] وَإِقْدَامٍ وَتَأَنٍّي(*) وَحُسْنِ خُلُقٍ وَاحْتِمَالٍ، وَالمُدَارَاةُ فِي مَكَانِهَا، وَالرَّأْيُ وَالتَّدْبِيرُ فِي الأُمُورِ، وَالإِكْثَارُ مِنْ قِرَاءَةِ الكُتُبِ وَحِفْظِ سِيَرِ المُلُوكِ، وَالفَحْصِ عَنِ الأَحْوَالِ وَالأَعْمَالِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا المُلُوكُ وَعَمِلُوْا بِهَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا بَقِيَّةُ دُوَلِ المُتَقَدِّمِينَ الَّذِيْنَ تَمَلَّكُوا وَانْقَرَضُوا جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ

(*) كَذَا فِي الأَصْلِ، وَالصَّحِيْحُ «تَأَنٍّ».

وَالْإِقْدَامِ وَتَأَنِّي وَحُسْنِ خُلُقٍ وَاحْتِمَالٍ
وَالْمُدَارَاةِ فِي مَكَانِهَا وَالرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ
فِي الْأُمُورِ ۞ وَالْإِكْثَارِ مِنْ قِرَاءَةِ الْكُتُبِ
وَحِفْظِ سِيَرِ الْمُلُوكِ ۞ وَالْفَحْصِ عَنِ الْأَحْوَالِ
وَالْأَعْمَالِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْمُلُوكُ وَعَمِلُوا بِهَا
لِأَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا بَقِيَّةُ دُوَلِ الْمُتَقَدِّمِينَ
الَّذِينَ تَمَلَّكُوا وَانْقَرَضُوا جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ

[١٥/ أ] وَصَارُوا تَذْكَارًا لِمَنْ بَعْدَهُمْ، يُذْكَرُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِفِعْلِهِ. فَالدُّنْيَا وَالآخِرَةُ كَنْزَيْنِ(*)، فَكَنْزُ الدُّنْيَا الثَّنَاءُ الحَسَنُ وَطِيبُ الذِّكْرِ، وَكَنْزُ الآخِرَةِ العَمَلُ الصَّالِحُ وَاكْتِسَابُ الأَجْرِ.

البَابُ الثَّانِي

فِيمَا يَلْزَمُ الوَزِيرَ مِنْ نَصِيحَةِ المَلِكِ

(*) كَذَا فِي الأَصْلِ، وَالصَّحِيْحُ «كَنْزَانِ».

وَصَارُوا تَذْكَارًا لِمَنْ بَعْدَهُمْ يُذْكَرُ
كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِفِعْلِهِ ۞ فَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ
كَنَزَيْنِ فَكَنْزُ الدُّنْيَا هُوَ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ
وَطِيبُ الذِّكْرِ ۞ وَكَنْزُ الْآخِرَةِ
الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَاكْتِسَابُ الْأَجْرِ ۞

الْبَابُ الثَّانِي

فِيمَا يَلْزَمُ الْوَزِيرَ مِنْ نَصِيحَةِ الْمَلِكِ

[١٥/ ب] وَسَدَادِ الرَّأْيِ وَالأَصْلُ فِي ذَلِكَ مَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ القَدِيْمِ، مُعَبِّرًا عَنِ الكَلِيمِ عليه السلام بِقَوْلِهِ: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾ [طه: ٢٩-٣٢]، أَيْ يَكُونُ مُعِينًا فِي أَمْرِ النُّبُوَّةِ وَأَدَاءِ الرِّسَالَةِ. وَخُصَّ هَارُونُ بِذِكْرِ الوِزَارَةِ لِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهَا،

وَسَدَادِ الرَّأْيِ وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ مَا أَخْبَرَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْقَدِيمِ ۞ مُعَبِّرًا
عَنِ الْكَلِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ وَاجْعَلْ
لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَرُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ
أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي أَيْ يَكُونُ مُعِينًا
فِي أَمْرِ النُّبُوَّةِ وَأَدَاءِ الرِّسَالَةِ ۞ وَخُصَّ
هَرُونَ بِذِكْرِ الْوِزَارَةِ لِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهَا ۞

[١٦/ أ] وَإِنْ كَانَا مُشْتَرِكَيْنِ فِي النُّبُوَّةِ.

فَالوَزِيرُ شَرِيكُ المَلِكِ فِي أُمُورِهِ،

وَعَيْبَةُ أَسْرَارِهِ، وَأُسُّ قَوَاعِدِ دَوْلَتِهِ. وَلَا

يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ المُلُوكِ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَىٰ

رَأْيِ نَفْسِهِ وَيُدَبِّرَ سُلْطَانَهُ بِغَيْرِ وَزِيرٍ.

وَمَنْ انْفَرَدَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ. أَلَا تَرَىٰ أَنَّ

النَّبِيَّ ﷺ مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِ

وَإِنْ كَانَا مُشْتَرِكَيْنِ فِي النُّبُوَّةِ فَالْوَزِيرُ
شَرِيكُ الْمَلِكِ فِي أُمُورِهِ وَعَيْبَةُ أَسْرَارِهِ
وَأُسُّ قَوَاعِدِ دَوْلَتِهِ ❁ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ
مِنَ الْمُلُوكِ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى رَأْيِ نَفْسِهِ وَيُدَبِّرَ
سُلْطَانَهُ بِغَيْرِ وَزِيرٍ ❁ وَمَنِ انْفَرَدَ بِرَأْيِهِ
ضَلَّ ❁ أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِ

[١٦/ ب] وَعِظَمِ فَصَاحَتِهِ وَكَمَالِ عَقْلِهِ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالمُشَاوَرَةِ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ عليه السلام مَعَ هَذِهِ الخَصَائِصِ الَّتِي خَصَّهُ اللهُ بِهَا قَدْ أُمِرَ بِالمُشَاوَرَةِ، فَكَانَ غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ أَحْوَجَ إِلَيْهَا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا الحِمْلُ الثَّقِيلُ تَدَاوَلَتْهُ

أَكُفُّ القَوْمِ خَفَّ عَنِ الرِّقَابِ

وَعِظَمِ فَصَاحَتِهِ وَكَمَالِ عَقْلِهِ أَمَرَهُ
اللهُ تَعَالَى بِالْمُشَاوَرَةِ مَعَ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اللهُ
تَعَالَى وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۞ فَإِذَا كَانَ
النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ هَذِهِ الْخَصَائِصِ الَّتِي
خَصَّهُ اللهُ بِهَا قَدْ أُمِرَ بِالْمُشَاوَرَةِ فَكَانَ
غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ أَحْوَجَ إِلَيْهَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ
إِذَا الْحِمْلُ الثَّقِيلُ تَدَاوَلَتْهُ أَكُفُّ الْقَوْمِ خَفَّ عَنِ الرِّقَابِ

[١٧/ أ] وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ: أَيُّ الأَصْحَابِ أَصْلَحُ لِلْمَلِكِ؟ قَالَ: الوَزِيْرُ العَاقِلُ المُشْفِقُ الأَمِينُ الصَّالِحُ، لِيُدَبِّرَ مَعَهُ رَأْيَهُ. وَعَلَىٰ المَلِكِ أَنْ يُعَامِلَ الوَزِيرَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: أَحَدُهَا أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَتْ مِنْهُ زَلَّةٌ أَوْ وُجِدَتْ مِنْهُ هَفْوَةٌ، لَا يُعَاجِلُهُ بِالعُقُوبَةِ، وَأَنْ يُصَوِّرَ لِتِلْكَ الهَفْوَةِ وَجْهًا يَسَعُهُ الاِحْتِمَالُ.

وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ أَيُّ الْأَصْحَابِ أَصْلَحُ
لِلْمَلِكِ قَالَ الْوَزِيرُ الْعَاقِلُ الْمُشْفِقُ الْأَمِينُ
الصَّالِحُ لِيُدَبِّرَ مَعَهُ رَأْيَهُ وَعَلَى الْمَلِكِ
أَنْ يُعَامِلَ الْوَزِيرَ بِثَلَثَةِ أَشْيَاءَ أَحَدُهَا
أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَتْ مِنْهُ زَلَّةٌ أَوْ وُجِدَتْ مِنْهُ
هَفْوَةٌ لَا يُعَاجِلُهُ بِالْعُقُوبَةِ ۞ وَأَنْ يُصَوِّرَ
لِتِلْكَ الْهَفْوَةِ وَجْهًا يَسَعُهُ الْإِحْتِمَالُ

[١٧/ب] وَالثَّانِي: إِذَا اسْتَغْنَىٰ فِي دَوْلَتِهِ، واتَّسَعَ حَالُهُ فِي خِدْمَتِهِ، لَا يَطْمَعُ فِي مَالِهِ وَثَرْوَتِهِ. وَالثَّالِثُ: إِذَا سَأَلَهُ فِي حَاجَةٍ لَا يَتَوَقَّفُ فِي قَضَائِهَا، وَلَا يَحْتَجِبُ المَلِكُ مِنْ رُؤْيَةِ الوَزِيرِ مَتَىٰ أَرَادَ أَنْ يَرَاهُ، وَأَنْ لَا يَسْمَعَ فِي حَقِّهِ كَلَامَ مُفْسِدٍ حَسُودٍ، وَأَنْ لَا يَكْتُمَ عَنْهُ شَيْءٌ(*) مِنْ سِرِّهِ، لَأَنَّ الوَزِيرَ الصَّالِحَ

(*) كَذَا فِي الأَصْلِ، والصَّوَابُ «شَيْئًا».

وَالثَّانِي إِذَا اسْتَغْنَى فِي دَوْلَتِهِ ❁ وَاتَّسَعَ
حَالُهُ فِي خِدْمَتِهِ ❁ لَا يَطْمَعُ فِي مَالِهِ وَثَرْوَتِهِ
وَالثَّالِثُ إِذَا سَأَلَهُ فِي حَاجَةٍ لَا يَتَوَقَّفُ
فِي قَضَائِهَا ❁ وَلَا يَحْتَجِبُ الْمَلِكُ مِنْ رُؤْيَةِ
الْوَزِيرِ مَتَى أَرَادَ أَنْ يَرَاهُ ❁ وَأَنْ لَا يَسْمَعَ
فِي حَقِّهِ كَلَامَ مُفْسِدٍ حَسُودٍ ❁ وَأَنْ لَا
يَكْتُمَ عَنْهُ شَيْئًا مِنْ سِرِّهِ لِأَنَّ الْوَزِيرَ الصَّالِحَ

[١٨/أ] حَافِظُ سِرَّ السُّلْطَانِ،

وَبِهِ عَمَارَةُ الوِلَايَاتِ وَالخَزَائِنِ.

وَقَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ: يَحْتَاجُ

السُّلْطَانُ إِلَىٰ سِتَّةِ أَشْيَاءَ لِكَيْ تَتِمَّ بِهَا

السَّلْطَنَةُ، مِنْهَا الوَزِيرُ الصَّالِحُ لِيُظْهِرَ

إِلَيْهِ سِرَّهُ، وَيُدَبِّرَ مَعَهُ رَأْيَهُ، وَيَسُوسَ

أَمْرَهُ؛ وَمِنْهَا الجَوَادُ السَّابِقُ يَعْتَضِدُ

بِهِ يَوْمَ بَاسِهِ، وَمِنْهَا السَّيْفُ القَاطِعُ،

حَافِظُ سِرِّ السُّلْطَانِ ۞ وَبِهِ عِمَارَةُ الْوِلَايَاتِ
وَالْخَزَائِنِ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ
يَحْتَاجُ السُّلْطَانُ إِلَى سِتَّةِ أَشْيَاءَ لِكَيْ تَتِمَّ
بِهَا السَّلْطَنَةُ مِنْهَا الْوَزِيرُ الصَّالِحُ
لِيُظْهِرَ إِلَيْهِ سِرَّهُ ۞ وَيُدَبِّرَ مَعَهُ رَأْيَهُ ۞
وَيَسُوسَ أَمْرَهُ وَمِنْهَا الْجَوَادُ السَّابِقُ يَعْتَمِدُ
بِهِ يَوْمَ بَأْسِهِ وَمِنْهَا السَّيْفُ الْقَاطِعُ

[١٨/ب] وَمِنْهَا السِّلَاحُ السَّابِغُ،

وَمِنْهَا المَالُ الكَثِيرُ لِتَقْوِيَةِ جُنْدِهِ،

وَمِنْهَا الطَبَّاخُ الأَمِينُ الحَاذِقُ

بِأَغْذِيَةِ المُلُوكِ وَمَا يُوَافِقُ أَمْزِجَتَهُمْ.

وَمِنْ أَقْوَىٰ أَسْبَابِ الدَّوْلَةِ النَّظَرُ

فِي مَبَادِئِ الأُمُورِ وَعَوَاقِبِهَا، كَمَا

رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ وُزَرَاءِ العَجَمِ قَالَ

لِسُلْطَانِهِ: أَيُّهَا السُّلْطَانُ، إِنِّي أَرَىٰ مِنَ

وَمِنْهَا السِّلَاحُ السَّابِغُ وَمِنْهَا الْمَالُ الْكَثِيرُ
لِتَقْوِيَةِ جُنْدِهِ وَمِنْهَا الطَّبَّاخُ الْأَمِينُ
الْحَاذِقُ بِأَغْذِيَةِ الْمُلُوكِ وَمَا يُوَافِقُ
أَمْزِجَتَهُمْ وَمِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ الدَّوْلَةِ
النَّظَرُ فِي مَبَادِي الْأُمُورِ وَعَوَاقِبِهَا كَمَا
رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ وُزَرَاءِ الْعَجَمِ قَالَ
لِسُلْطَانِهِ أَيُّهَا السُّلْطَانُ إِنِّي أَرَى مِنَ

[١٩/ أ] الحَزْمِ أَنْ نَبْنِيَ أَمْرَنَا مَعَ العَدُوِّ

عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: عَلَىٰ اللِّينِ وَالبَذْلِ

وَالكَيْدِ وَالمُكَاشَفَةِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ

مِثْلُ الجُرْحِ؛ فَأَوَّلُ عِلَاجِهِ التَّسْكِينُ

وَالتَّلْيِينُ، فَإِنْ لَمْ يَنْفَعْ فَالبَطُّ[٩]، فَإِنْ

لَمْ يَنْفَعْ فَالكَيُّ وَهُوَ آخِرُ العِلَاجِ.

وَقَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ: مَنْ أَعْرَضَ

عَنِ الحَذَرِ وَالاحْتِرَاسِ، وَبَنَىٰ أَمْرَهُ

الْحَزْمِ أَنْ نَبْنِيَ أَمْرَنَا مَعَ الْعَدُوِّ عَلَى أَرْبَعَةِ
أَوْجُهٍ ۞ عَلَى اللِّينِ ۞ وَالْبَذْلِ وَالْكَيْدِ
وَالْمُكَاشَفَةِ ۞ وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ الْجُرْحِ
فَأَوَّلُ عِلَاجِهِ التَّسْكِينُ وَالتَّلْيِينُ فَإِنْ لَمْ
يَنْفَعْ فَالْبَطُّ فَإِنْ لَمْ يَنْفَعْ فَالْكَيُّ وَهُوَ آخِرُ
الْعِلَاجِ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مَنْ
أَعْرَضَ عَنِ الْحَذَرِ وَالِاحْتِرَاسِ وَبَنَى أَمْرَهُ

[١٩/ ب] عَلَىٰ غَيْرِ أَسَاسٍ، زَالَ عَنْهُ العِزُّ وَاسْتَوْلَىٰ عَلَيْهِ العَجْزُ. فَيَنْبَغِي لِمَنْ وَلَّاهُ المَلِكُ الوِزَارَةَ أَوْ عَمَلاً مِنْ الأَعْمَالِ، [أَنْ] يُرَاعِيَ نَظَرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ فِيمَا يَلِي مِنْ ذَلِكَ العَمَلِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نِهَايَةً، فَيَغْتَنِمُ أَوْقَاتَهُ بِأَدَاءِ الأَمَانَةِ وَالنَّصِيحَةِ لِعِبَادِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَتَنَاوَلُ شَيْئًا مِنْ مَالِ

عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ ۞ زَالَ عَنْهُ الْعِزُّ وَاسْتَوْلَى
عَلَيْهِ الْعَجْزُ ۞ فَيَنْبَغِي لِمَنْ وَلَّاهُ الْمَلِكُ
الْوِزَارَةَ أَوْ عَمَلًا مِنَ الْأَعْمَالِ يُرَاعِيَ نَظَرَ
اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ فِيمَا يَلِي مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ
وَيَعْلَمَ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نِهَايَةً ۞ فَيَغْتَنِمُ
أَوْقَاتَهُ بِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَالنَّصِيحَةِ لِعِبَادِ
اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ۞ وَلَا يَتَنَاوَلُ شَيْئًا مِنْ مَالِ

[٢٠/ أ] سُلْطَانِهِ، مَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَوْ يَتَأَوَّلُ فِي شَيءٍ مِنْ ذَلِكَ أَوْ يَسْتَصْغِرُ قَدْرَ الخِيَانَةِ؛ فَمَنْ تَحَسَّىٰ مَرَقَةَ السُّلْطَانِ شَاطَتْ[١٠] شَفَتَاهُ، وَمَنْ أَكَلَ مِنْ مَالِهِ زَبِيبَةً أَدَّىٰ تَمْرَةً وَلَا يَتَعَدَّىٰ طَوْرَهُ. وَلِيَتَأَيَّدْ (*) فِي أَمْرِهِ وَلِيَخْشَىٰ (**) فِي وِلَايَتِهِ وَيَتَعَاهَدْ عَلَىٰ وِدَادِهِ. وَلَا يَكُوْنُ كَمَا قِيلَ:

(*) كَذَا فِي الأَصْلِ، وَيَبْدُو أَنَّ صِحَّتَهَا: «وَلْيَتَّئِدْ».
(**) كَذَا فِي الأَصْلِ، وَالصَّحِيْحُ «وَلْيَخْشَ».

سُلطَانِهِ ۞ مَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۞
أَوْ يَتَأَوَّلُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَوْ يَسْتَصْغِرُ
قَدْرَ الْخِيَانَةِ ۞ فَمَنْ تَحَسَّى مَرَقَةَ السُّلْطَانِ
شَاطَتْ شَفَتَاهُ ۞ وَمَنْ أَكَلَ مِنْ مَالِهِ
زَبِيبَةً أَدَّى تَمْرَةً وَلَا يَتَعَدَّى طَوْرَهُ ۞
وَلْيَتَأَيَّدْ فِي أَمْرِهِ وَلْيَخْشَ فِي وِلَايَتِهِ ۞
وَيَتَعَاهَدْ عَلَى وِدَادِهِ وَلَا يَكُونُ كَمَا قِيلَ

[٢٠/ ب]

تَوَلَّاهَا وَلَيْسَ لَهُ عَدُوٌّ

وَفَارَقَهَا وَلَيْسَ لَهُ صَدِيْقُ

وَلَا يَغْتَرَّ اللَّبِيبُ بِالدُّنُوِّ مِنَ السُّلْطَانِ وَإِنْ كَانَ عَزِيْزًا عِنْدَهُ، وَلِيَكُنْ عَلَىٰ ثِقَةٍ مِنَ العَزْلِ. فَإِنَّ السُّلْطَانَ كَالنَّارِ يُحْرَقُ مَنْ دَنَا مِنْهَا، وَيَسْلَمُ مَنْ تَبَاعَدَ عَنْهَا.

وَيُرْوَىٰ أَنَّ يُوسُفَ بْنَ عَمٍّ (١١) الوَزِيرِ (١٢)، كَانَ لَهُ جَارِيَةٌ حَظِيَّةٌ ذَاتَ مَنْزِلَةٍ

تَوَلَّاهَا وَلَيْسَ لَهُ عَدُوٌّ وَفَارَقَهَا وَلَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ

فَلَا يَغْتَرُّ اللَّبِيبُ بِالدُّنُوِّ مِنَ السُّلْطَانِ

وَإِنْ كَانَ عَزِيزًا عِنْدَهُ ۞ وَلْيَكُنْ عَلَى

ثِقَةٍ مِنَ الْعَزْلِ ۞ فَإِنَّ السُّلْطَانَ كَالنَّارِ

تُحْرِقُ مَنْ دَنَا مِنْهَا وَيَسْلَمُ مَنْ تَبَاعَدَ

عَنْهَا وَيُرْوَى أَنَّ يُوسُفَ بْنَ عَمِّ الْوَزِيرِ

كَانَ لَهُ جَارِيَةٌ حَظِيَّةٌ ذَاتَ مَنْزِلَةٍ

[٢١/أ] لَدَيْـهِ، وَكَانَـتْ قَائِمَـةً عَلَـىٰ

رَأْسِـهِ فِـي خِدْمَتِـهِ، فَجَـاءَهُ كِتَـابٌ فَتَغَيَّـرَ

وَجْهُـهُ، فَقَالَـتْ: أَيُّهَـا الوَزِيـرُ، هَـذَا

كِتَـابُ عَـزْلٍ؟ فَقَـالَ: وَكَيْـفَ عَلِمْـتِ؟

قَالَ[ـتْ]: لِتَغَيُّـرِ وَجْهِـكَ، وَقَلَّمَـا

عَهِـدْتُ ذَلِـكَ. وَقَـدْ كَانَ يَعْـزِلُ عَنْهَـا

مَخَافَـةَ الحَمْـلِ. فَقَالَـتْ: يَـا مَـوْلَايَ،

كَيْـفَ اخْتَـرْتَ العَـزْلَ وَهَـذَا طَعْمُـهُ؟

لَدَيْهِ ۞ وَكَانَتْ قَائِمَةً عَلَى رَأْسِهِ
فِي خِدْمَتِهِ فَجَاءَهُ كِتَابٌ فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ
فَقَالَتْ أَيُّهَا الْوَزِيرُ هَذَا كِتَابُ عَزْلٍ
فَقَالَ وَكَيْفَ عَلِمْتِ قَالَ لِتَغَيُّرِ وَجْهِكَ
وَقَلَّمَا عَهِدْتُ ذَلِكَ وَقَدْ كَانَ يَعْزِلُ
عَنْهَا مَخَافَةَ الْحَمْلِ ۞ فَقَالَتْ يَا مَوْلَايَ
كَيْفَ اخْتَرْتَ الْعَزْلَ وَهَذَا طَعْمُهُ

[٢١/ب] قَالَ: إِذَنْ لَا أَعُودُ.

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: كَفَّارَةُ عَمَلِ السُّلْطَانِ الإِحْسَانُ إِلَىٰ الإِخْوَانِ.

وَيُرْوَىٰ أَنَّهُ لَمَّا نُكِبَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَىٰ وَعُزِلَ عَنِ الوِزَارَةِ أَصْبَحَ وَلَمْ يُرَ بِبَابِهِ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهِ الوِزَارَةُ عَادَ النَّاسُ إِلَىٰ بَابِهِ يَزْدَحِمُونَ، فَأَنْشَدَ فَقَالَ:

قال إذن لا أعود قال جعفر
بن محمد كفارة عمل السلطان
الإحسان الى الإخوان ويروى أنه
لما نكب علي بن عيسى وعزل عن الوزارة
أصبح ولم يبر ببابه أحد فلما رجعت
إليه الوزارة عاد الناس إلى بابه يزدحمون
فأنشد فقال

[٢٢/أ]

مَا النَّاسُ إِلَا مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا

فَكَيْفَ مَا انْقَلَبَتْ يَوْمًا بِهِ انْقَلَبُوا

يُعَظِّمُونَ أَخَا الدُّنْيَا وَإِنْ وَثَبَتْ

يَوْمًا عَلَيْهِ بِمَا لَا يَشْتَهِي وَثَبُوا

البَابُ الثَّالِثُ

فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالقُضَاةِ وَالأَحْكَامِ

ثُمَّ مِنْ كَمَالِ سَعَادَةِ

المَلِكِ أَنْ يَخْتَارَ لِرَعِيَّتِهِ

مَا النَّاسُ إِلَّا مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا ۞

۞ فَكَيْفَ مَا انْقَلَبَتْ يَوْمًا بِهِ انْقَلَبُوا

يُعَظِّمُونَ أَخَا الدُّنْيَا وَإِنْ وَثَبَتْ ۞

۞ يَوْمًا عَلَيْهِ بِمَا لَا يَشْتَهِي وَثَبُوا

البَابُ الثَّالِثُ

فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْقُضَاةِ وَالْأَحْكَامِ

وَمِنْ كَمَالِ سَعَادَةِ الْمَلِكِ أَنْ يَخْتَارَ لِرَعِيَّتِهِ

[٢٢/ ب] مَـنْ يَقُـومُ بِالحُكُومَـةِ بَيْنَهُـمْ

بِمَـا أَمَـرَ اللهُ فِـي كِتَابِـهِ، وَرَسُـولُهُ

فِـي سُـنَّتِهِ. وَأَنْ يَكُـونَ بَالِغًـا عَاقِـلاً

عَالِمًـا مَشْـهُورًا بِالقَضَايَـا وَالأَحْـكَامِ،

بَصِيـرًا بِغَوَامِـضِ الحُكُومَـاتِ، عَالِمًـا

بِالنَّاسِـخِ وَالمَنْسُـوخِ مِـنْ كِتَـابِ اللهِ

وَسُـنَّةِ رَسُـولِهِ، خَبِيْـرًا بِالتَّأْوِيْـلِ، بَصِيـرًا

بِاخْتِـلَافِ الفُقَهَـاءِ وَقَضَايَـا السَّـلَفِ

مَنْ يَقُومُ بِالْحُكُومَةِ بَيْنَهُمْ بِمَا أَمَرَ اللهُ فِي
كِتَابِهِ وَرَسُولُهُ فِي سُنَّتِهِ ۞ وَأَنْ
يَكُونَ بَالِغًا عَاقِلًا عَالِمًا مَشْهُورًا بِالْقَضَايَا
وَالْأَحْكَامِ ۞ بَصِيرًا بِغَوَامِضِ الْحُكُومَاتِ
عَالِمًا بِالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ مِنْ كِتَابِ اللهِ
وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ۞ خَبِيرًا بِالتَّأْوِيلِ
بَصِيرًا بِاخْتِلَافِ الْفُقَهَا وَقَضَايَا السَّلَفِ

[٢٣/ أ] مِنْ حُكَّامِ الإِسْلَامِ، مُتَيَقِّظًا فَطِنًا

بِلُغَاتِ العَرَبِ، عَارِفًا بِكَتْبِ السِّجِلَاتِ

وَمَا تَثْبُتُ بِهِ الشَّهَادَاتُ، عَالِمًا بِالجَرْحِ

وَالتَّعْدِيلِ، ذَا دِيَانَةٍ وَأَمَانَةٍ وَعِفَّةٍ،

مُتَوَاضِعًا وَاسِعَ الصَّدْرِ مُحْتَمِلاً لِسُوءِ

أَخْلَاقِ الخُصُومِ وَاخْتِلَافِ طِبَاعِهِمْ.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ

حَاجِبَهُ وَمَنْ يَلُوذُ

مِنْ حُكَّامِ الاسْلَامِ مُتَيَقِّظًا فَطِنًا
بِلُغَاتِ الْعَرَبِ ۞ عَارِفًا بِكُتُبِ السِّجِلَّاتِ
وَمَا تَثْبُتُ بِهِ الشَّهَادَاتُ ۞ عَالِمًا
بِالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ ۞ ذَا دِيَانَةٍ وَأَمَانَةٍ
وَعِفَّةٍ مُتَوَاضِعًا وَاسِعَ الصَّدْرِ مُحْتَمِلًا
لِسَوْءِ أَخْلَاقِ الْخُصُومِ وَاخْتِلَافِ طِبَاعِهِمْ
وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ حَاجِبُهُ وَمَنْ يَلُوذُ

[٢٣/ب] بِمَجْلِسِهِ حَسَنَ الخُلُقِ مُنْبَسِطًا، يُوصِلُ إِلَيْهِ حَوَائِجَ النَّاسِ عَلَىٰ الوَجْهِ، مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ. فَبِذَلِكَ يَطِيبُ الذِّكْرُ عَنْهُ.

وَيُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَكُوْنَ عَارِفًا بِأَقْدَارِ أَهْلِ الفَضْلِ وَمَنْزِلَتِهِمْ وَطَبَقَاتِهِمْ، مُتَرِدِّدًا إِلَىٰ الصَّالِحِينَ، وَأَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ الخُصُومِ فِي مَجْلِسِهِ بِنَظَرِهِ وَكَلَامِهِ،

بِمَجْلِسِهِ حَسَنَ الْخُلُقِ مُنْبَسِطًا يُوصِلُ إِلَيْهِ
حَوَائِجَ النَّاسِ عَلَى الْوَجْهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ
وَلَا نُقْصَانٍ ۞ فَبِذَلِكَ يَطِيبُ الذِّكْرُ
عَنْهُ وَيُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ تَكُونَ عَارِفًا
بِأَقْدَارِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَمَنَازِلِهِمْ وَطَبَقَاتِهِمْ
مُتَرَدِّدًا إِلَى الصَّالِحِينَ وَأَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ
الْخُصُومِ فِي مَجْلِسِهِ بِنَظَرِهِ وَكَلَامِهِ

[٢٤/ أ] وَلَا يَحْكُمَ بِظَنِّهِ مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ

يَسُوغُهَا الشَّرْعُ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ.

وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ مِنَ الحَوَادِثِ وَرَأَىٰ

المَصْلَحَةَ فِي تَأْخِيرِهِ أَخَّرَهُ. وَيُشَاوِرُ

كِبَارَ العُلَمَاءِ مِمَّنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ،

ثُمَّ يَجْتَهِدُ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَا يَحْتَجِبُ

عَنِ الخُصُومِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، وَيَجِبُ

عَلَىٰ المَلِكِ تَقْوِيَةُ يَدِهِ وَرَفْعُ الكُلَفِ

وَلَا يَحْكُمُ بِظَنِّهِ مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ يَسُوغُهَا الشَّرْعُ
فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ۞ وَمَا أَشْكَلَ
عَلَيْهِ مِنَ الْحَوَادِثِ وَرَأَى الْمَصْلَحَةَ فِي
تَأْخِيرِهِ أَخَّرَهُ ۞ وَيُشَاوِرُ كِبَارَ الْعُلَمَاءِ
مِمَّنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ ثُمَّ يَجْتَهِدُ بَعْدَ ذَلِكَ
وَلَا يَحْتَجِبُ عَنِ الْخُصُومِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ وَيَجِبُ
عَلَى الْمَلِكِ تَقْوِيَةُ يَدِهِ وَرَفْعُ الْكُلَفِ

[٢٤/ب] عَنْهُ فِي الشَّفَاعَاتِ فِيمَا لَا يُجِيزَهُ الشَّرْعُ، وَيَرْزُقُهُ مِنْ بَيْتِ المَالِ مَا يَقُومُ بِكِفَايَتِهِ وَكِفَايَةِ خَادِمِهِ وَدَابَّتِهِ، وَذَلِكَ مِنَ الوَاجِبِ عَلَىٰ المَلِكِ؛ فَيُكْرَهُ لَهُ قَبُولُ الهَدِيَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِذَلِكَ عَادَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ، فَإِنَّ الهَدَايَا لِلْوُلَاةِ مِنَ الرُّشَىٰ كَمَا رُوِيَ عَنْ [أَبِي حَرِيزِ الأَزْدِيِّ](*)،

(*) فِي الأَصْلِ: «جَرِيرِ الأَسَدِيِّ»، وَهُوَ تَصْحِيفٌ. وَأَبُو حَرِيز هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ الأَزْدِيُّ البَصْرِيُّ، قَاضِي سِجِسْتَان. وَلَمْ أَقِفْ عَلَىٰ تَارِيخِ وَفَاتِهِ، وَقَدْ تَرْجَمَ لَهُ الذَّهَبِيُّ فِي الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ (١٣١-١٤٠هـ). انْظُرْ عَنْهُ: علي بن عمر الدارقطني، المؤتلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ١: ٣٥٨؛ المزي، ١٤: ٤٢٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣: ٦٧٦.

عَنْهُ فِي الشَّفَاعَاتِ فِيمَا لَا يَجُوزُهُ الشَّرْعُ
وَبَرْزَقُهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا يَقُومُ
بِكِفَايَتِهِ وَكِفَايَةِ خَادِمِهِ وَدَابَّتِهِ
وَذَلِكَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَى الْمَلِكِ فَيُكْرَهُ
لَهُ قَبُولُ الْهَدِيَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِذَلِكَ
عَادَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ ۞ فَإِنَّ الْهَدَايَا لِلْوُلَاةِ
مِنَ الرُّشَا كَمَا رُوِيَ عَنْ جَرِيرٍ الْأَسَدِيِّ

[٢٥/أ] قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لَا يَزَالُ يُهْدِي لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَخْذَ جَزُورٍ، إِلَىٰ أَنْ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ بِخَصْمٍ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اقْضِ بَيْنَنَا قَضَاءً فَصْلاً كَمَا تُفْصَلُ الفَخِذُ مِنْ سَائِرِ الجَزُورِ. قَالَ [عُمَرُ]: فَمَا زَالَ يُرَدِّدُهَا حَتَّىٰ خِفْتُ عَلَىٰ نَفْسِي، فَقَضَىٰ عَلَيْهِ عُمَرُ، وَكَتَبَ إِلَىٰ عُمَّالِهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِيَّاكُمْ وَالهَدَايَا،

قَالَ كَانَ رَجُلٌ لَا يَزَالُ يُهْدِي لِعُمَرَ
رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فَجَاءَ بِجَزُورٍ إِلَى أَنْ جَاءَ
ذَاتَ يَوْمٍ بِخَصْمٍ فَقَالَ ۞ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
اقْضِ بَيْنَنَا قَضَاءً فَصْلًا كَمَا تُفْصَلُ الْفَخِذُ
مِنْ سَائِرِ الْجَزُورِ قَالَ فَمَا زَالَ يَرُدُّهَا
حَتَّى خِفْتُ عَلَى نَفْسِي فَقَضَى عَلَيْهِ عُمَرُ وَكَتَبَ
إِلَى عُمَّالِهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِيَّاكُمْ وَالْهَدَايَا

فيها

[٢٥/ ب] فَإِنَّهَا مِنَ الرُّشَىٰ[١٣]. وَلِيَعْلَمِ العَاقِلُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا البَابِ مِنَ الإِتِّعَاظِ وَالخَوْفِ سِوَىٰ الحَدِيثِ المَرْوِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَكَانَ فِيهِ الكِفَايَةُ، وَهُوَ قَوْلُهُ عليه السلام: «مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ»[١٤].

وَالحَدِيثُ الآخَرُ: «القُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ

فَإِنَّهَا مِنَ الرُّشَا ۞ وَلْيَعْلَمِ الْعَاقِلُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ
يَكُنْ فِي هَذَا الْبَابِ مِنَ الِاتِّعَاظِ وَالْخَوْفِ
سِوَى الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَانَ فِيهِ الْكِفَايَةُ ۞
وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ۞ مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا
فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ ۞ وَالْحَدِيثُ الْآخَرُ
الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ قَاضِيَانِ فِي النَّارِ وَقَاضٍ

[٢٦/أ] فِي الجَنَّةِ»[١٥]. فَيَنْبَغِي لِمَنْ وَلِيَ الحُكْمَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ أَنْ يَسْأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ العِصْمَةَ مِنَ الزَّلَلِ، وَأَنْ يُكْثِرَ الاِسْتِغْفَارَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي خَلْوَتِهِ، وَيَتَذَكَّرَ وُقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَعَرْضِ الأَعْمَالِ، وَيَسْأَلَ اللهَ التَّوْفِيقَ لِإِصَابَةِ الصَّوَابِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ إِذَا

وَالْجَنَّةِ ۞ فَيَنْبَغِي لِمَنْ وَلِيَ الْحُكْمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
أَنْ يَسْأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ الْعِصْمَةَ مِنَ الزَّلَلِ
وَأَنْ يُكْثِرَ الِاسْتِغْفَارَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي
خَلْوَتِهِ ۞ وَيَتَذَكَّرَ وُقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيِ
اللهِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَعَرْضِ
الْأَعْمَالِ ۞ وَيَسْأَلَ اللهَ التَّوْفِيقَ
لِإِصَابَةِ الصَّوَابِ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ إِذَا

[٢٦/ ب] عَلِمَ مِنْ عَبْدِهِ خَوْفَهُ وَحُسْنَ نِيَّتِهِ سَدَّدَهُ وَبَصَّرَهُ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ وَأَعَانَهُ وَجَعَلَ فِي قَلْبِهِ نُورًا يَهْتَدِي بِهِ لِسَبِيلِ الحَقِّ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

وَلَقَدْ وَرَدَ عَنِ القَاضِي شُرَيْحٍ(١٦) -رَحِمَهُ اللهُ- أَنَّهُ أَتَىٰ يَوْمًا لِمَجْلِسِ الحُكْمِ بَيْنَ النَّاس، فَنَظَرَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَعْوَانِهِ يَضْحَكُ فَقَالَ: أَتَضْحَكُ وَأَنَا

عَلِمَ مِنْ عَبْدِهِ خَوْفَهُ وَحُسْنَ نِيَّتِهِ ۞
سَدَّدَهُ وَبَصَّرَهُ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ وَأَعَانَهُ
وَجَعَلَ فِي قَلْبِهِ نُورًا يَهْتَدِي بِهِ لِسَبِيلِ
الْحَقِّ ۞ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ وَلَقَدْ وَرَدَ
عَنِ الْقَاضِي شُرَيْحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ أَتَى يَوْمًا
لِمَجْلِسِ الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ فَنَظَرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ
أَعْوَانِهِ يَضْحَكُ فَقَالَ أَتَضْحَكُ وَأَنَا

[٢٧/ أ] أَتَقَلَّبُ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ؟

وَذُكِرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُرَيْثٍ(١٧) قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ نَصْرَ بْنَ عَلِيٍّ(١٨) أَرَادُوهُ لِلْقَضَاءِ بِالبَصْرَةِ فَامْتَنَعَ، فَلَمَّا أَلَحُّوا عَلَيْهِ دَخَلَ بَيْتَهُ وَنَامَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ وَأَلْقَىٰ [مِلَاءَتَهُ](*) عَلَىٰ وَجْهِهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كَارِهٌ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ. فَقُبِضَ رَحِمَهُ اللهُ.

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ(١٩) أَنَّ [حَيْوَةَ](**) ابْنَ

(*) فِي الأَصْلِ: «مِلاَوَتَهُ»، وَالصَّحِيحُ مَا أُثْبِتَ. انْظُرْ: محمد بن الحسن ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٩٦م)، ٣: ١٨٧؛ محمد بن أحمد الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف (مصر: مكتبة الجمهورية العربية، ١٣٨٥هـ)، ١: ٩٧.

(**) فِي الأَصْلِ: «حَيَاةَ» وَهُوَ خَطَأٌ، وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ. رَاجِعْ: خليل بن أيبك الصفدي، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تحقيق: السيد الشرقاوي (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ٢٣٧.

انقلب بين الجنة والنار وذكر عن محمد بن
حويث قال بلغني أن نصر بن علي أرادوه
للقضا بالبصرة فامتنع فلما ألحوا عليه
دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاءته
على وجهه وقال اللهم إن كنت تعلم أني
كاره فاقبضني إليك فقبض رحمه
الله وروي عن ابن المبارك أن حياة ابن

[٢٧/ ب] شُرَيْحٍ[٢٠] دَعَاهُ أَبُو [عَوْنَ][*] حِينَ قَدِمَ أَمِيرًا عَلَىٰ مِصْرَ[٢١]، وَأَرَادَ أَنْ يُوَلِّيَهُ القَضَاء، فَأَبَىٰ عَلَيْهِ فَقَالَ أَبُو [عَوْنٍ]: إِنَّ أَمْرَنَا لَا يُرَدُّ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْبَلْ لَا أَرْضَىٰ مِنْكَ دُونَ دَمِكَ. فَقَالَ: دَعْنِي أَسْتَخِرِ اللهَ اللَّيْلَةَ. فَمَضَىٰ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ وَأَوْصَىٰ بِوَصِيَّةٍ وَأَحْكَمَ أُمُورَهُ. فَدَعَاهُ مِنَ الغَدِ، قَالَ:

(*) فِي الأَصْل: «أَبُو عَوَانَة»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ اسْتَمَرَّ فِي بَاقِي الخَبَرِ، وَالصَّحِيْحُ مَا أُثْبِتَ. رَاجِعْ: أحمد بن محمد المروذي، أخبار الشيوخ وأخلاقهم، تحقيق: عامر حسن صبري (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ١٠٨؛ عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، الثبات عند الممات، تحقيق: عبد الله الليثي الأنصاري (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ١٤١.

شُرَيْحٍ دَعَاهُ أَبُو عَوَانَةَ حِينَ قَدِمَ أَمِيرًا عَلَى
مِصْرَ وَأَرَادَ أَنْ يُوَلِّيَهُ الْقَضَا فَأَبَى عَلَيْهِ
فَقَالَ لَهُ أَبُو عَوَانَةَ إِنَّ أَمْرَنَا لَا يُرَدُّ فَإِنْ
أَنْتَ لَمْ تَقْبَلْ لَا أَرْضَى مِنْكَ دُونَ دَمِكَ
فَقَالَ دَعْنِي أَسْتَخِيرُ اللَّهَ اللَّيْلَةَ ❁
فَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ وَأَوْصَى بِوَصِيَّةٍ وَأَحْكَمَ
أُمُورَهُ فَدَعَاهُ مِنَ الْغَدِ ❁ فَقَالَ

[٢٨/ أ] مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: إِنِّي قَرَأْتُ البَارِحَةَ القُرْآنَ فَأَتَيْتُ عَلَىٰ ذِكْرِ السَّحَرَةِ جَاؤُوا لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ فَآمَنُوا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَالُوْا مَا سَمِعْتَ ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ [طه: ٧٢]، فَلَا يَنْبَغِيْ لِي وَقَدْ وُلِدْتُ فِي الإِسْلَام وَكَبُرْتُ فِيهِ أَنْ أَكُونَ أَضْعَفَ يَقِينًا مِنْهُم، اقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ، فَوَاللهِ لَا أَلِي الحُكْمَ أَبَدًا.

مَا صَنَعْتَ قَالَ إِنِّي قَرَأْتُ الْبَارِحَةَ الْقُرْآنَ
فَأَتَيْتُ عَلَى ذِكْرِ السَّحَرَةِ جَاؤُا لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ
فَآمَنُوا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَقَالُوا مَا سَمِعْتَ
فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا فَلَا يَنْبَغِي لِي وَقَدْ وُلِدْتُ فِي الْإِسْلَامِ
وَكَبُرْتُ فِيهِ أَنْ أَكُونَ أَضْعَفَ يَقِينًا مِنْهُمْ
اقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ فَوَاللَّهِ لَا إِلَى الْكُفْرِ أَبَدًا

فعار

[٢٨/ب] فَقَالَ أَبُو [عَوْنٍ]:

اذْهَبْ فَأَنْتَ شَيْخٌ أَحْمَقٌ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ

بْنُ أَبِي لَيْلَىٰ[٢٢] القَضَاء بِالكُوفَةِ رَكِبَ

أَوَّلَ يَوْمٍ فَاصْطَفَّ النَّاسُ يَنْظُرُونَ

إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ مَجْنُوْنٌ مِنْ مَجَانِينِ

الكُوفَةِ وَقَالَ: انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ جَمَعَ

اللهُ لَهُ سُرُورَ الدُّنْيَا بِحُزْنِ الآخِرَةِ.

فَقَالَ ابْنُ أَبِي لَيْلَىٰ: لَوْ سَمِعْتُهَا

فقال أبو عوانة اذهب فأنت شيخ
أحمق وروي انه لما ولي عبد الرحمن بن
أبي ليلى القضا بالكوفة ركب أول يوم
فاصطف الناس ينظرون إليه فأقبل
مجنون من مجانين الكوفة وقال انظروا
إلى من جمع الله له سرور الدنيا بحزن
الآخرة ❁ فقال ابن أبي ليلى لو سمعتها

[٢٩/ أ] قَبْـــــلَ أَنْ أَلِـــــيَ مَـــــا وَلِيـتُ لَهُـــــــمْ شَـيْئًا.

فَانْظُـرْ أَيُّهَـا الحَاكِـمُ رَحِمَـكَ اللهُ وَتَيَقَّـظْ مِـنْ سِـنَةِ الغَفْلَـةِ، وَلَا تَبِـعْ نَصِيبَكَ مِـنَ الآخِـرَةِ بِثَمَـنٍ لَا يَبْقَـىٰ عَلَيْـكَ[؟].

فَـإِنَّ الأَمْـرَ عَظِيـمٌ وَالخَطْـبَ جَسِـيمٌ.

وَاعْتَبِـرْ بِذِكْـرِ هَـؤُلَاءِ المُعْتَنِيـنَ بِخَـلَاصِ نُفُوسِـهِمْ، فَإِنَّهُـمْ دَعَاهُـمْ خَوْفُهُـمْ مِـنَ اللهِ عَـزَّ وَجَـلَّ، وَاحْتَرَمُـوا جَانِبَـهُ وَطَلَبُـوا

قَبْلَ أَنْ أُلِيَ مَا وَلِيتُ لَهُمْ شَيْئاً فَانْظُرْ أَيُّهَا
الْحَاكِمُ رَحِمَكَ اللهُ وَتَيَقَّظْ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ
وَلَا تَبِعْ نَصِيبَكَ مِنَ الْآخِرَةِ بِثَمَنٍ لَا يَبْقَى
عَلَيْكَ ۞ فَإِنَّ الْأَمْرَ عَظِيمٌ وَالْخَطْبَ
جَسِيمٌ وَاعْتَبِرْ بِذِكْرِ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَنِينَ
بِخَلَاصِ نُفُوسِهِمْ فَإِنَّهُمْ دَعَاهُمْ خَوْفُهُمْ
مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاحْتِرَامُوا جَانِبَهُ وَطَلَبُوا

[٢٩/ ب] رِضَاهُ وَقَامُوا بِأَوَامِرِهِ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ خَضَعَتْ لَهُمُ الرِّقَابُ، وَانْقَادَتْ لِأَحْكَامِهِمْ بِأَزِمَّةِ عَدْلِهِمِ الصُّمُّ الصِّلَابُ، فَمَا ظَنُّكَ بِأَهْلِ زَمَانِكَ هَذَا بِأَقْوَامٍ يَتَغَايَرُونَ عَلَىٰ هَذَا المَقَامِ الخَطِرِ، وَيَبْذُلُونَ الأَمْوَالَ وَالمُهَجَ طَلَبًا لِلرِّئَاسَةِ وَالجَاهِ، وَيَتَهَافَتُونَ فِيهِ تَهَافُتَ الفَرَاشِ فِي المِصْبَاحِ.

رِضَاهُ ۞ وَقَامُوا بِأَوَامِرِهِ ۞ عِنْدَ ذَلِكَ
خَضَعَتْ لَهُمُ الرِّقَابُ ۞ وَانْقَادَتْ
لِأَحْكَامِهِمْ بِأَزِمَّةِ عَدْلِهِمِ الصَّمُّ الصِّلَابُ
فَمَا ظَنُّكَ بِأَهْلِ زَمَانِكَ هَذَا بِأَقْوَامٍ يَتَغَايَرُونَ
عَلَى هَذَا الْمَقَامِ الْخَطِرِ ۞ وَيَبْذُلُونَ
الْأَمْوَالَ وَالْمُهَجَ طَلَبًا لِلرِّيَاسَةِ وَالْجَاهِ
وَبَيْنَهَا فَتُونَ فِيهِ تَهَافُتَ الْفَرَاشِ فِي الْمِصْبَاحِ

[٣٠/ أ] وَلَوْ عَظَّمُوْا شَعَائِرَ الله، وَرَاعُوْا مَا عَلَّمَهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ لَعُظِّمُوا، لَكِنْ مَنْ طَرَحَ الِاجْتِهَادَ حُرِمَ التَّوْفِيقَ، وَعُرِجَ بِهِ عَنْ قَصْدِ الطَّرِيق. قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا أَرَادَ اللهُ أَمْرًا بِامْرِئٍ

وَكَانَ ذَا سَمْعٍ وَعَقْلٍ وَبَصَرْ

أَصَمَّهُ اللهُ وَأَعْمَىٰ قَلْبَهُ

واسْتَلَّ مِنْهُ عَقْلَهُ سَلَّ الشَّعَرْ

حَتَّىٰ إِذَا أَنْفَذَ فِيهِ حُكْمَهُ

رَدَّ إِلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَبِرْ

وَلَوْ عَظَّمُوا شَعَائِرَ اللهِ وَرَاعَوْا مَا عَلَّمَهُمُ اللهُ
وَرَسُولُهُ لَعَظَّمُوا لَكِنْ مَنْ طَرَحَ الِاجْتِهَادَ
حُرِمَ التَّوْفِيقَ ۞ وَعُرِجَ بِهِ عَنْ قَصْدِ
الطَّرِيقِ ۞ قَالَ الشَّاعِرُ ۞
إِذَا أَرَادَ اللهُ أَمْرًا بِامْرِئٍ وَكَانَ ذَا سَمْعٍ وَعَقْلٍ وَبَصَرْ
أَصَمَّهُ اللهُ وَأَعْمَى قَلْبَهُ وَاسْتَلَّ مِنْهُ عَقْلَهُ سَلَّ الشَّعَرْ
حَتَّى إِذَا أَنْفَذَ فِيهِ حُكْمَهُ رَدَّ إِلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَبِرْ

[٣٠/ ب] كَتَبَ المَنْصُورُ إِلَىٰ سَوَّارٍ القَاضِي[٢٣] فِي شَيءٍ كَانَ الحَقُّ فِي خِلَافِهِ، فَلَمْ يُنَفِّذْ سَوَّارٌ كِتَابَهُ، وَمَضَىٰ الحُكْمُ عَلَيْهِ، فَتَوَعَّدَهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا عَدْلُ سَوَّارٌ لَكَ وَمُضَافٌ إِلَيْكَ وَزَيْنُ خِلَافَتِكَ؛ فَأَمْسَكَ عَنْهُ.

وَقِيلَ: كَانَ حَفْصُ[٢٤] بْنُ [غِيَاثٍ][*] جَالِسًا فِي الشَّرْقِيَّةِ[٢٥] يَقْضِي، فَأَرْسَلَ الخَلِيفَةُ

(*) فِي الأَصْلِ: «حَفْصُ بْنُ عَتَّابٍ»، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

١٣٠

كَتَبَ الْمَنْصُورُ إِلَى سَوَّارِ الْقَاضِي فِي شَيْءٍ
كَانَ الْحَقُّ فِي خِلَافِهِ فَلَمْ يُنَفِّذْ سَوَّارٌ
كِتَابَهُ وَمَضَى الْحُكْمُ عَلَيْهِ فَتَوَعَّدَهُ ۞
فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا عَدَلَ سَوَّارٌ
لَكَ وَمُضَافٌ إِلَيْكَ وَزَيْنٌ خِلَافُكَ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقِيلَ كَانَ حَفْصُ بْنُ عَتَّابٍ
جَالِسًا فِي الشُّرْفَةِ يَقْضِي فَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ

[٣١/ أ] خَلْفَهُ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: حَتَّىٰ أَفْرُغَ مِنَ الخُصُومِ، إِذْ كُنْتُ أَجِيرًا لَهُمْ وَأَصِيرَ إِلَىٰ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَقُمْ حَتَّىٰ تَفَرَّقَ الخُصُومُ(٢٦).

نَادَىٰ رَجُلٌ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ المَلِكِ وَهُوَ عَلَىٰ المِنْبَرِ: يَا سُلَيْمَانُ، اذْكُرْ يَوْمَ الأَذَانِ، فَنَزَلَ عَنِ المِنْبَرِ وَدَعَا بِالرَّجُلِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: مَا يَوْمُ الأَذَانِ؟ فَقَالَ: ﴿ فَأَذَّنَ

خَلْفَهُ فَقَالَ لِلرَّسُولِ حَتَّى أَفْرُغَ مِنَ الْخُصُومِ
إِذْ كُنْتُ أُجِيرًا لَهُمْ وَأَصِيرَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَلَمْ يَقُمْ حَتَّى تَفَرَّقَ الْخُصُومُ فَنَادَى
رَجُلٌ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ
يَا سُلَيْمَانُ اذْكُرْ يَوْمَ الْأَذَانِ ۞
فَنَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ وَدَعَا بِالرَّجُلِ فَقَالَ
سُلَيْمَانُ مَا يَوْمُ الْأَذَانِ فَقَالَ فَأَذَّنَ

[٣١/ ب] مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ [الأعراف: ٤٤]. قَالَ: فَمَا ظُلَامَتُكَ؟ قَالَ: أَرْضِي بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا أَخَذَهَا وَكِيلُكَ. فَكَتَبَ إِلَىٰ وَكِيلِهِ أَنِ ادْفَعْ إِلَيْهِ أَرْضَهُ وَأَرْضِي مَعَ أَرْضِهِ.

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا وَرَدَ فِي هَذَا البَابِ مَا رُوِيَ عَنِ القَاضِي أَبُو(*) عُمَرَ بْنَ [حَمَّاد](**)(٢٧)، قَالَ: قَدِمَ خَادِمٌ مِنْ

(*) كَذَا فِي الأَصْل، وَالصَّحِيْحُ «أَبِي».
(**) فِي الأَصْلِ: «حَمَّه»، وَهُوَ خَطَأ مِنَ النَّاسِخِ، فَقَدْ تَدَاخَلَتْ عَلَيْهِ حُرُوْفُ الأَصْلِ الَّذِيْ نَقَلَ عَنْهُ.

مُوَدِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ
قَالَ مَا ظُلَامَتُكَ قَالَ أَرْضِي بِمَكَانِ
كَذَا وَكَذَا أَخَذَهَا وَكِيلُكَ ۞
فَكَتَبَ إِلَى وَكِيلِهِ ان ادْفَعْ إِلَيْهِ أَرْضَهُ
وَأَرْضِي مَعَ ارْضِهِ وَمِنْ أَحْسَنِ مَا وَرَدَ
فِي هَذَا الْبَابِ مَا رُوِيَ عَنِ الْقَاضِي أَبُو
عُمَرَ بْنِ حَمَّةَ قَالَ قَدِمَ خَادِمٌ مِنْ

[٣٢/ أ] وُجُوهِ خَدَمِ المُعْتَضِدِ بِاللهِ إِلَىٰ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ(٢٨) -يَعْنِيْ أَبَاهُ- فِي حُكْمٍ، فَارْتَفَعَ فِي المَجْلِسِ، فَأَمَرَهُ الحَاجِبُ بِالجُلُوْسِ بِمُوَازَاةِ خَصْمِهِ، فَلَمْ يَفْعَلْ إِدْلَالاً لِعِظَمِ مَحَلِّهِ مِنَ الدَّولَةِ، فَصَاحَ القَاضِي عَلَيْهِ وَقَالَ: قِفَاهُ، تُؤْمَرُ بِمُوَازَاةِ خَصْمِكَ فَتَمْتَنِعُ؟ يَا غُلَامَ عَمْرِو بْنِ عَمْرٍو عَلَيَّ(*) بِالنَّخَّاسِ لَأَتَقَدَّمَ

(*) وَقَعَ هُنَا خَلْطٌ فِي النَّقْلِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ مِنَ الأَصْلِ الَّذِي نُقِلَ عَنْهُ -واللهُ أَعْلَمُ-، فَأَصْبَحَ المَعْنَىٰ أَنَّ القَاضِي يُنَادِيْ غُلَامَ شَخْصٍ اسْمُهُ عَمْرُو بْنُ عَمْرو، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيْح، وَالصَّوَابُ أَنَّ هَذَا اسْمُ النَّخَّاسِ. وَصِحَّةُ العِبَارَةِ كَمَا أَوْرَدَهَا الخَطِيْبُ البَغْدَادِيّ رِوَايَةً: «يَا غُلامُ، عَمرو بن أبي عَمرو النَّخَّاس السَّاعة لأتقدَّم إليه ببيع ...». الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٦: ٤٥٧.

وُجُوهِ خَدَمِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ إِلَى يُوسُفَ
بْنِ يَعْقُوبَ يَعْنِي أَبَاهُ فِي حُكْمٍ فَارْتَفَعَ فِي
الْمَجْلِسِ فَأَمَرَهُ الْحَاجِبُ بِالْجُلُوسِ بِمُوَازَاةِ
خَصْمِهِ فَلَمْ يَفْعَلْ إِذْ لَا لَاقَ لِعِظَمِ مَحَلِّهِ مِنَ
الدَّوْلَةِ ❁ فَصَاحَ الْقَاضِي عَلَيْهِ وَقَالَ
قَفَاهُ نُؤْمَرُ بِمُوَازَاةِ خَصْمِكَ فَتَمْتَنِعُ ❁
يَا غُلَامُ عَمْرَوْنِ عَمْرٍو عَلَيَّ بِالنَّخَّاسِ لَأُقَدِّمَ

[٣٢/ ب] إِلَيْهِ السَّاعَةَ بِبَيْعِ هَذَا العَبْدِ وَحَمْلِ ثَمَنِهِ إِلَىٰ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ. ثُمَّ قَالَ لِحَاجِبِهِ: خُذْ بِيَدِهِ، وَسَوِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَصْمِهِ. فَأُخِذَ كَرْهًا، وَأُجْلِسَ مَعَ خَصْمِهِ. فَلَمَّا انْقَضَىٰ الحُكْمُ انْصَرَفَ الخَادِمُ، فَحَدَّثَ المُعْتَضِدَ الحَدِيثَ وَبَكَىٰ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَصَاحَ عَلَيْهِ المُعْتَضِدُ وَقَالَ: لَوْ بَاعَكَ لأَجَزْتُ بَيْعَهُ وَمَا رَدَدْتُكَ

إِلَيْهِ السَّاعَةَ بِبَيْعِ هَذَا الْعَبْدِ وَحَمْلِ ثَمَنِهِ
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ قَالَ لِحَاجِبِهِ خُذْ بِيَدِهِ
وَسَوِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَصْمِهِ فَأَخَذَ كُرْهًا
وَأَجْلَسَ مَعَ خَصْمِهِ ❁ فَلَمَّا انْقَضَى الْحُكْمُ
انْصَرَفَ الْخَادِمُ فَحَدَّثَ الْمُعْتَضِدَ الْحَدِيثَ
وَبَكَى بَيْنَ يَدَيْهِ فَصَاحَ عَلَيْهِ الْمُعْتَضِدُ
وَقَالَ لَوْ بَاعَكَ لَأَجَزْتُ بَيْعَهُ وَمَا رَدَدْتُكَ

[٣٣/أ] إِلَىٰ مِلْكِي أَبَدًا، وَلَيْسَ خُصُوصِيَّتُكَ بِي تُزِيلَ مَرْتَبَةَ الحُكْمِ، فَإِنَّهُ عَمُودُ السُّلْطَانِ، وَقَوَامُ الأَدْيَانِ.

وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلاً اسْتَعْدَىٰ عَلَىٰ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَعَلِيٌّ جَالِسٌ عِنْدَهُ، فَالتَفَتَ عُمَرُ إِلَيْهِ وَقَالَ: يَا أَبَا الحَسَنِ، قُمْ فَاجْلِسْ مَعَ خَصْمِكَ. فَقَامَ فَجَلَسَ مَعَ

إِلَى مِلْكِي أَبَدًا وَلَيْسَ خُصُوصِيَّتُكَ بِي تُزِيلُ
مَرْتَبَةَ الْحُكْمِ فَإِنَّهُ عَمُودُ السُّلْطَانِ ۞
وَقِوَامُ الْأَدْيَانِ وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلًا اسْتَعْدَا
عَلَى عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلِيٌّ جَالِسٌ عِنْدَهُ
فَالْتَفَتَ عُمَرُ إِلَيْهِ وَقَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ
قُمْ فَاجْلِسْ مَعَ خَصْمِكَ فَقَامَ فَجَلَسَ مَعَ

[٣٣/ ب] خَصْمِـهِ، فَتَنَاظَـرَا وَانْصَـرَفَ الرَّجُـلُ، وَرَجَـعَ إِلَـىٰ مَجْلِسِـهِ. فَتَبَيَّـنَ عُمَـرُ التَّغَيُّـرَ فِـي وَجْهِـهِ فَقَـالَ: يَـا أَبَـا الحَسَـنِ، مَالِـي أَرَاكَ مُتَغَيِّرًا؟ أَكَرِهْـتَ مَـا كَانَ؟ قَـالَ: نَعَـمْ. قَـالَ: وَمَـا ذَاكَ؟ قَـالَ: كَنَّيْتَنِـي بِحَضْـرَةِ خَصْمِـي، فَهَـلَّا قُلْـتَ: يَـا عَلِـيُّ اجْلِـسْ مَـعَ خَصْمِـكَ؟ فَأَخَـذَ عُمَـرُ بِـرَأْسِ عَلِـيٍّ فَقَبَّـلَ بَيْـنَ عَيْنَيْـهِ،

خَصْمِهِ فَتَنَاظَرَا وَانْصَرَفَ الرَّجُلُ وَرَجَعَ
إِلَى مَجْلِسِهِ فَتَبَيَّنَ عُمَرُ التَّغَيُّرَ فِي وَجْهِهِ
فَقَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ مَالِي أَرَاكَ مُتَغَيِّرًا
أَكَرِهْتَ مَا كَانَ قَالَ نَعَمْ قَالَ
وَمَا ذَاكَ قَالَ كَنَّيْتَنِي بِحَضْرَةِ خَصْمِي
فَهَلَّا قُلْتَ لِي يَا عَلِيُّ اجْلِسْ مَعَ خَصْمِكَ
فَأَخَذَ عُمَرُ بِرَأْسِ عَلِيٍّ فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ

[٣٤/ أ] ثُـــــمَّ قَـالَ لِـــي: بِأَبِي، بِكُمْ هَدَانَـا اللهُ وَبِكُـمْ أَخْرَجَنَـا مِـنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَـىٰ النُّـورِ.

وَلَمَّـا وَلِـيَ يَحْيَـىٰ بْـنُ أَكْثَـمَ البَصْـرَةَ كَانَ لَـهُ يَـوْمٌ يَخْـرُجُ فِيْـهِ يَخْتَـرِقُ الأَنْهَـارَ، يَتَفَـرَّجُ فِيهَـا. فَخَـرَجَ يَوْمًـا كَمَـا كَانَ يَخْـرُجُ، فَلَمَّـا صَـارَ إِلَـىٰ بَعْـضِ الأَنْهَـارِ إِذَا هُـوَ بِجَمَاعَـةٍ مِـنْ شُـهُودِهِ قَـدْ نَزَعُـوْا ثِيَابَهُـمْ وَاتَّـزَرُوْا بِمَآزِرِهِـمْ

ثُمَّ قَالَ يَا بَنِي بِكُمْ هَدَانَا اللهُ وَبِكُمْ
أَخْرَجَنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَلَمَّا وَلِيَ
يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ الْبَصْرَةَ كَانَ لَهُ يَوْمٌ
يَخْرُجُ فِيهِ يَخْتَرِقُ الْأَنْهَارَ يَتَفَرَّجُ فِيهَا
فَخَرَجَ يَوْمًا كَمَا كَانَ يَخْرُجُ فَلَمَّا صَارَ إِلَى
بَعْضِ الْأَنْهَارِ إِذَا هُوَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ شُهُودِهِ
قَدْ نَزَعُوا ثِيَابَهُمْ وَاتَّزَرُوا بِمَيَازِرِهِمْ

[٣٤/ب] وَنَزَلُوْا نَهْرًا، وَإِذَا هُمْ فِيْ المَاءِ يَتَرَامُوْنَ بِالطِّيْنِ. فَلَمَّا رَآهُمْ عَرَفَ بَعْضَهُمْ، فَلَوَىٰ رَأْسَ بَغْلَتِهِ رَاجِعًا؛ فَانْقَطَعُوا عَنْ حُضُورِ مَجْلِسِهِ، فَلَمَّا فَقَدَهُمْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَجَمَعَهُمْ فَقَالَ: انْقَطَعْتُمْ عَنِّي لِمَا رَأَيْتُهُ مِنْكُمْ؟ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أُنْكِرُهُ. قَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ

وَنَزَلُوا نَهْرًا وَإِذَا هُمْ فِي الْمَاءِ يَتَرَامَوْنَ
بِالطِّينِ ۞ فَلَمَّا رَأَهُمْ عَرَفَ بَعْضَهُمْ
فَلَوَى رَأْسَ بَغْلَتِهِ رَاجِعًا فَانْقَطَعُوا عَنْ
حُضُورِ مَجْلِسِهِ فَلَمَّا فَقَدَهُمْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ
فَجَمَعَهُمْ فَقَالَ انْقَطَعْتُمْ عَنِّي لِمَا
رَأَيْتُهُ مِنْكُمْ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَنْكَرَهُ
قَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ

[٣٥/ أ] عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَرَامَوْنَ بِالبَطِّيخِ، وَكَانُوا يَتَغَاطَطُونَ فِي المَاءِ. وَحَدَّثَنَا فُلَانٌ وَفُلَانٌ، وَجَعَلَ يَسْرُدُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا المَعْنَىٰ. إِلَّا أَنَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ فِي وَاحِدَةٍ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُرْصِدُوا بَعْضَ مَنْ يَنْظُرُ، لَا يَمُرُّ بِكُمْ مَنْ تَحْتَشِمُوهُ. أَمَّا أَنَا فَلَا تَحْتَشِمُونِي، وَلَكِنْ لَا يَمُرُّ بِكُمْ جَاهِلٌ فَيَبْغِي عَلَيْكُمُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَرَامَوْنَ بِالْبِطِّيخِ وَكَانُوا
يَتَعَاطَوْنَ فِي الْمَاءِ ۞ وَحَدَّثَنَا فُلَانٌ
وَفُلَانٌ وَجَعَلَ يَسْرُدُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى
إِلَّا أَنَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ فِي وَاحِدَةٍ كَانَ
يَنْبَغِي أَنْ تُرْصِدُوا بَعْضَ مَنْ يَنْظُرُ لَا يَمُرُّ
بِكُمْ مَنْ تَحْتَشِمُوهُ أَمَّا أَنَا فَلَا تَحْتَشِمُونِي ۞
وَلَكِنْ لَا يَمُرُّ بِكُمْ جَاهِلٌ فَيَنْبَغِي عَلَيْكُمْ

[٣٥/ ب] الجُهَّالُ. قُومُوا إِلَىٰ مَكَانِكُمْ مِنْ حُضُورِ المَجْلِسِ.

خَرَجَ شُرَيْحٌ يَوْمًا مِنْ مَجْلِسِ القَضَاءِ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَمَا حَانَ لَكَ يَا شُرَيْحُ أَنْ تَخَافَ اللهَ وَتَسْتَحْيِيْ؟ قَالَ: وَيْلَكَ، مِنْ أَيِّ شَيءٍ؟ قَالَ: كَبُرَ سِنُّكَ وَفَسَدَ ذِهْنُكَ وَكَثُرَ نِسْيَانُكَ وَادَّهَنَ كِتَابُكَ وَارْتَشَىٰ ابْنُكَ وَصَارَتِ الأُمُوْرُ تَجُورُ عَلَيْكَ.

الْجُهَّالُ قُومُوا إِلَى مَكَانِكُمْ مِنْ حُضُورِ
الْمَجْلِسِ خَرَجَ شُرَيْحٌ يَوْمًا مِنْ مَجْلِسِ الْقَضَا
فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَقَالَ أَمَا حَانَ لَكَ يَا شُرَيْحُ أَنْ
تَخَافَ اللهَ وَتَسْتَحِيَ قَالَ وَيْلَكَ مِنْ أَيِّ
شَيْءٍ ۞ قَالَ كَبُرَ سِنُّكَ وَفَسَدَ
ذِهْنُكَ وَكَثُرَ نِسْيَانُكَ وَاذْهَبْ كِتَابُكَ
وَارْتَشَى ابْنُكَ وَصَارَتِ الْأُمُورُ تَجُورُ عَلَيْكَ

[٣٦/ أ] فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَقُولُهَا أَحَدٌ

بَعْدَكَ. وَاعْتَزَلَ عَنِ القَضَاءِ وَلَزِمَ مَنْزِلَهُ.

وَقَضَىٰ شُرَيْحٌ بِالكُوْفَةِ سَبْعِيْنَ سَنَةً؛

وَلَّاهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَبَقِيَ إِلَىٰ أَيَّامِ

الحَجَّاجِ. وَعَاشَ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً.

البَابُ الرَّابِعُ

فِي حِفْظِ الجُنْدِ وَمُرَاعَاةِ أَحْوَالِهِمْ

فقالت والله لا يقولها أحد بعدك
واعتزل عن القضا ولزم منزله ❁ وقضى
شريح بالكوفة ستين سنة ❁ ولاه
عمر بن الخطاب وبقي إلى أيام الحجاج
وعاش مائة وعشرين سنة ❁

الباب الرابع

في حفظ الجند ومراعاة أحوالهم

[٣٦/ ب] فَهُمْ حَمَاةُ المَلِكِ الذَّابِّينَ عَنْ بِلَادِهِ، وَبِهِمْ تُدَالُ الدُّوَلُ.

وَمِنْ أَعْظَمِ المُهِمَّاتِ، وَأَدْعَىٰ إِلَىٰ الحَاجَاتِ لِلْمَلِكِ الحَازِمِ أَنْ يَخْتَارَ لِدَوَامِ دَوْلَتِهِ وَحِفْظِ بِلَادِهِ وَرَعِيَّتِهِ الأَجْنَادَ الكَثِيرَةَ مِمَّنْ لَهُمُ التَّقَدُّمُ وَالبَصِيرَةُ بِمُلَاقَاةِ الحُرُوبِ وَالنَّوَازِلِ، الحَافِظِينَ لِعُهُودِهِمْ

فَهُمْ حُمَاةُ الْمُلْكِ الذَّابِّينَ عَنْ بِلَادِهِ
وَبِهِمْ تُنَالُ الدُّوَلُ وَمِنْ أَعْظَمِ
الْمُهِمَّاتِ ۞ وَأَدْعَى الْحَاجَاتِ لِلْمَلِكِ
الْحَازِمِ أَنْ يَخْتَارَ لِلدَّوْلَةِ وَلَيْهِ وَحِفْظِ
بِلَادِهِ وَرَعِيَّتِهِ ۞ الْأَجْنَادَ الْكَثِيرَةَ
مِمَّنْ لَهُمُ التَّقَدُّمُ وَالْبَصِيرَةُ بِمُلَاقَاتِ
الْحُرُوبِ وَالنَّوَازِلِ الْحَافِظِينَ لِعُهُودِهِمْ

[٣٧/ أ] وَمَوَاثِيقِهِمْ.

وَمِثَالُ المَلِكِ فِي دَوْلَتِهِ وَشِدَّةِ بَأْسِهِ كَالعُقَابِ الكَاسِرِ، وَالأَجْنَادُ مِنْهُ كَالأَجْنِحَةِ، وَكِبَارُ الجُنْدِ مِنَ الأُمَرَاءِ كَالمَخَالِيبِ لِلْعُقَابِ، وَالطَّلَائِعُ كَالأَعْيُنِ لِلْعُقَابِ. فَبِقُوَّةِ الأَجْنِحَةِ وَكَثَافَةِ الرِّيشِ يَنْهَضُ العُقَابُ، وَبِقُوَّةِ مَخَالِبِهِ يَقْتَنِصُ

وَمَوَاثِيقِهِمْ وَمِثَالُ الْمَلِكِ فِي دَوْلَتِهِ
وَشِدَّةِ بَأْسِهِ كَالْعُقَابِ الْكَاسِرِ ۞
وَالْأَجْنَادُ مِنْهُ كَالْأَجْنِحَةِ ۞ وَكِبَارُ
الْجُنْدِ مِنَ الْأُمَرَاءِ كَالْمَخَالِبِ لِلْعُقَابِ
وَالطَّلَائِعُ كَالْأَعْيُنِ لِلْعُقَابِ ۞
فَبِقُوَّةِ الْأَجْنِحَةِ وَكَثَافَةِ الرِّيشِ
يَنْهَضُ الْعُقَابُ وَبِقُوَّةِ مَخَالِبِهِ يَقْتَنِصُ

الفيل

[٣٧/ ب] الصَّيْـدَ، وَبِحَـزْمِ طَلَائِعِـهِ يُشَـاهِدُ مَـا غَـابَ عَنْـهُ.

وَيَنْبَغِـي لَـهُ أَنْ يَعْتَضِـدَ بِكَثْرَةِ الأَتْبَـاعِ وَالإِحْسَـانِ إِلَيْهِمْ فِي وَقْتِ السِّـلْمِ لِيَكُوْنَ مُعْتَـدًّا لِلْحَـوَادِثِ مُسْـتَظْهِرًا عَلَـىٰ اتِّبَـاعِ الأَعْـدَاء. فَيَصِيرُ بِذَلِكَ قَاهِـرًا لَا مَقْهُورًا.

وَأَنْ يَعْفُـوَ المَلِـكُ عَـنْ زَلَّاتِ الجُنْـدِ مَـا لَـمْ يَكُـنْ مُمَـالَأَةً، أَوْ قَدْحًـا فِـي الدَّوْلَـةِ.

الصَّيْدَ وَبِحَزْمِ طَلَائِعِهِ يُشَاهِدُ مَا غَابَ
عَنْهُ وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَضِدَ بِكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ
وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ فِي وَقْتِ السِّلْمِ لِيَكُونَ
مُعْتَدًّا لِلْحَوَادِثِ مُسْتَظْهِرًا عَلَى اتِّبَاعِ
الْأَعْدَا ۞ فَيَصِيرُ بِذَلِكَ قَاهِرًا لَا
مَقْهُورًا وَأَنْ يَعْفُوَ الْمُلْكُ عَنْ زَلَّاتِ
الْجُنْدِ مَا لَمْ يَكُنْ مُمَالَأَةً أَوْ قَدْحًا فِي الدَّوْلَةِ

[٣٨/أ] وَلَا يَسْمَعُ قَوْلَ السَّاعِينَ المُتَخَرِّصِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُوهِنُ قَوَاعِدَ المُلْكِ. وَلَا يَرَىٰ العَجَلَةَ فِي قَطْعِ رِزْقِ مَنْ سُعِيَ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَلِيقُ بِالمُلُوكِ؛ فَإِنَّ السَّادَةَ يُعَاقِبُونَ بِالهُجْرَانِ، وَلَا يَرَوْنَ الحِرْمَانَ.

وَقِيلَ إِنَّ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ[٢٩] قَالَ هَذَا الكَلَامَ حِينَ سَخِطَ عَلَىٰ بَعْضِ كُتَّابِهِ

وَلَا يَسْمَعُ قَوْلَ السَّاعِينَ الْمُتَخَرِّصِينَ فَإِنَّ
ذَلِكَ مِمَّا يُوهِنُ قَوَاعِدَ الْمُلْكِ وَلَا يَرَى
الْعَجَلَةَ فِي قَطْعِ رِزْقِ مَنْ سَعَى بِهِ إِلَيْهِ
فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَلِيقُ بِالْمُلُوكِ، فَإِنَّ السَّادَةَ
يُعَاقِبُونَ بِالْهُجْرَانِ ❁ وَلَا يَرَوْنَ
الْحِرْمَانَ وَقِيلَ أَنَّ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ قَالَ
هَذَا الْكَلَامَ حِينَ سَخِطَ عَلَى بَعْضِ كُتَّابِهِ

[٣٨/ ب] فَاسْتُؤْمِرَ فِي قَطْعِ جِرَايَتِهِ،

فَتَلَفَّظَ بِذَلِكَ. فَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ(٣٠): يَا لَهَا

مِنْ لَفْظَةٍ جَمَعَتِ الفَصَاحَةَ وَالسَّمَاحَةَ.

وَيَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ لَا يُكَلِّفَ جُنْدَهُ

وَرَعِيَّةَ بِلَادِهِ مَا لَا يُطِيقُونَ، فَإِنَّ ذَلِكَ

يَضُرُّ بِالمَلِكِ، وَيَكْرَهُونَ دَوَامَ دَوْلَتِهِ؛

وَاللهُ تَعَالَىٰ رَفِيْقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ،

وَالرِّفْقُ مَا كَانَ فِي شَيءٍ إِلَّا زَانَهُ،

فاستوسر في قطع جرايته فتلفظ بذالك فقال
أبو فراس يا لها من لفظة جمعت الفصاحة
والسماحة وينبغي للملك أن لا يكلف
جنده ورعيته بلاده ما لا يطيقون ۞
فإن ذلك يضر بالملك ويكره وزد وامر
دولته ۞ والله تعالى رفيق يحب الرفيق
والرفق ما كان في شيء إلا زانه

[٣٩/ أ] وَلَا كَانَ الخُـرْقُ[٣١] فِـي شَـيءٍ إِلَّا شَـانَهُ.

وَقَـدْ كَانَ بَعْـضُ المُلُـوكِ يَقُـولُ لِوَزِيـرِهِ: مُرْ جُبَـاةَ الأَمْـوَالِ بِالرِّفْـقِ وَتَـرْكِ الخُـرْقِ، فَـإِنَّ العَلَقَـةَ تَنَـالُ مِـنَ الـدَّمِ بِغَيْـرِ أَذًىٰ وَلَا سَـمَاعِ صَـوْتٍ مَـا لَا تَنَالُـهُ البَعُوضَـةُ بِحَـرٍّ لَسْـعِهَا وَهَـوْلِ صَوْتِهَـا.

وَمِمَّـا يُجَمَّـلُ بِـهِ ذِكْـرُ المُلُـوكِ وَمَـنْ دُوْنَهُـمْ مِـنْ أَهْـلِ المَنَاصِـبِ

وَلَا كَانَ الْخُرْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ وَقَدْ
كَانَ بَعْضُ الْمُلُوكِ يَقُولُ لِوَزِيرِهِ مُرْ
جُبَاةَ الْأَمْوَالِ بِالرِّفْقِ وَتَرْكِ الْخُرْقِ
فَإِنَّ الْعَلَقَةَ تَنَالُ مِنَ الدَّمِ بِغَيْرِ أَذًى
وَلَا سَمَاعِ صَوْتٍ مَا لَا تَنَالُهُ الْبَعُوضَةُ
بِحَرِّ لَسْعِهَا وَهَوْلِ صَوْتِهَا وَمِمَّا يُجْمَلُ
بِهِ ذِكْرُ الْمُلُوكِ وَمَنْ دُونَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَنَاصِبِ

[٣٩/ ب] اجْتِنَابُ المَحْذُورَاتِ،

وَصِيَانَةُ الفَرْجِ عَنِ المُحَرَّمَاتِ، وَتَرْكُ

مَا تَسْقُطُ بِهِ المُرُوءَاتُ. وَأَنْ يَغَارَ عَلَىٰ

أَهْلِ وِلَايَتِهِ كَمَا يَغَارُ عَلَىٰ حَرِيمِهِ،

وَإِنْ كَانَ الرَّعِيَّةُ مِنْ جُمْلَةِ حَرِيمِهِ

لِأَنَّهُمْ فِي ظِلِّ كَنَفِهِ وَحِمَايَتِهِ. وَلَا

يُسَامِحَ فِي إِقَامَةِ الحُدُودِ المَأْمُورِ بِهَا

فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ. وَرَوَىٰ

اجْتِنَابُ الْمَحْذُورَاتِ ۞ وَصِيَانَةُ الْفَرْجِ عَنِ
الْمُحَرَّمَاتِ وَتَرْكُ مَا تَسْقُطُ بِهِ الْمُرُوَّاتُ
وَأَنْ يَغَارَ عَلَى أَهْلِهِ وَلَابَنِيهِ كَمَا يَغَارُ
عَلَى حَرِيمِهِ وَإِنْ كَانَ الرَّعِيَّةُ مِنْ جُمْلَةِ
حَرِيمِهِ لِأَنَّهُمْ فِي ظِلِّ كَنَفِهِ وَحِمَايَتِهِ
وَلَا يُسَامِحُ فِي إِقَامَةِ الْحُدُودِ الْمَأْمُورِ بِهَا
فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَرَوِيَ

[٤٠/أ] حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ(٣٢)، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ(٣٣) قَالَ: كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عُبَّادِهِمْ يَعْمَلُ بِالمِسْحَاةِ، وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَجْمَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَبَلَغَ جَبَّارًا مِنْ جَبَابِرَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَمَالُهَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا عَجُوْزًا مِنْ عَجَائِزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَوْصَىٰ أَنْ تَقُولَ لَهَا: أَتَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي عِنْدَ مِثْلِ هَذَا الَّذِي

حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ
كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عُبَّادِهِمْ
يَعْمَلُ بِالْمِسْحَاةِ وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَجْمَلِ
بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ فَبَلَغَ جَبَّارًا مِنْ جَبَابِرَةِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ جَمَالُهَا فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا عَجُوزًا مِنْ
عَجَائِزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَوْصَى أَنْ تَقُولَ لَهَا
أَتَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي عِنْدَ مِثْلِ هَذَا الَّذِي

[٤٠/ ب] يَعْمَلُ بِالمِسْحَاةِ؟ وَلَوْ كُنْتِ

عِنْدِي لَحَلَّيْتُكِ الذَّهَبَ، وَكَسَوْتُكِ

الحَرِيرَ وَأَخْدَمْتُكِ الخَدَمَ. وَكَانَتْ

تَخْدُمُهُ وَتَفْرِشُ لَهُ فِرَاشَهُ، فَلَمْ تَفْعَلْ

مَا كَانَتْ تَفْعَلُهُ مِنْ قَبْلُ وَتَغَيَّرَتْ عَلَيْهِ.

فَقَالَ: يَا هَنْتَاهُ، مَا هَذَا الخُلُقُ الَّذِي لَا

أَعْرِفُهُ مِنْكِ؟ قَالَتْ: هُوَ مَا تَرَىٰ. قَالَ:

بِعَمَلِ الْمِسْحَاةِ وَلَوْ كُنْتِ عِنْدِي لَحَلَّيْتُكِ
الذَّهَبَ وَكَسَوْتُكِ الْحَرِيرَ وَأَخْدَمْتُكِ
الْخَدَمَ وَكَانَتْ تَخْدُمُهُ وَتَفْرِشُ لَهُ
فِرَاشَهُ فَلَمْ تَفْعَلْ مَا كَانَتْ تَفْعَلُهُ مِنْ
قَبْلُ وَتَغَيَّرَتْ عَلَيْهِ ❁ فَقَالَ
يَا هَنْتَاهُ مَا هَذَا الْخُلُقُ الَّذِي لَا أَعْرِفُهُ
مِنْكِ قَالَتْ هُوَ مَا تَرَى قَالَ

[٤١/ أ] فَطَلَّقَهَا، فَتَزَوَّجَهَا جَبَّارُ بَنِي

إِسْرَائِيلَ. فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَأُرْخِيَتِ

السُّتُورِ عَمِيَ وَعَمِيَتْ، فَأَهْوَىٰ بِيَدِهِ

لِيَلْمَسَهَا فَجُفَّتْ يَدُهُ، وَاَهْوَتْ بِيَدِهَا

لِتَلْمَسَهُ فَجُفَّتْ يَدُهَا، وَصُمَّا وَخُرِسَا

وَنُزِعَتْ مِنْهُمَا الشَّهْوَةُ. فَلَمَّا أَصْبَحَا

رُفِعَتِ السُّتُورُ فَإِذَا هُمَا صُمٌّ خُرْسٌ

عُمْيٌ. فَرُفِعَ خَبَرُهُمَا إِلَىٰ نَبِيِّ بَنِي

فَطَلَّقَهَا فَتَزَوَّجَهَا جَبَّارُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا
دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَأُرْخِيَتِ السُّتُورُ عَمِيَ وَعَمِيَتْ
فَأَهْوَى بِيَدِهِ لِيَلْمَسَهَا فَجُفَّتْ يَدُهُ
وَأَهْوَتْ بِيَدِهَا لِتَلْمَسَهُ فَجُفَّتْ يَدُهَا
وَصُمَّا وَخَرِسَا وَنُزِعَتْ مِنْهُمَا الشَّهْوَةُ
فَلَمَّا أَصْبَحَا رُفِعَتِ السُّتُورُ فَإِذَا هُمَا صُمٌّ
خُرْسٌ عُمْيٌ ۞ فَرُفِعَ خَبَرُهُمَا إِلَى نَبِيِّ بَنِي

[٤١/ ب] إِسْرَائِيلَ، فَرَفَعَ خَبَرَهُمَا إِلَىٰ

اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَوْحَىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

إِنِّي لَسْتُ أَغْفِرُ لَهُمَا أَبَدًا، ظَنَّا أَنْ لَيْسَ

يَعْنِينِي مَا عَمِلَا بِصَاحِبِ المِسْحَاةِ.

وَقَدْ قِيْلَ: رُبَّ شَهْوَةٍ أَعْقَبَتْ

نَدَامَةً، بَلْ حُزْنًا طَوِيلًا. قَالَ الشَّاعِرُ:

تَفْنَىٰ اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا

مِنَ الحَرَامِ وَيَبْقَىٰ الإِثْمُ وَالعَارُ

إِسْرَائِيلَ فَرَفَعَ خَبَرَهُمَا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ
فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنِّي لَسْتُ أَغْفِرُ لَهُمَا
أَبَدًا ظَنَّا أَنْ لَيْسَ يَعْنِينِي مَا عَمِلَا بِصَاحِبِ
الْمَسْحَاةِ وَقَدْ قِيلَ رُبَّ شَهْوَةٍ أَعْقَبَتْ
نَدَامَةً بَلْ حُزْنًا طَوِيلًا قَالَ الشَّاعِرُ
تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَهَا ۞
۞ مِنَ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ

[٤٢/أ]

تَبْقَىٰ عَوَاقِبُ سُوءٍ مِنْ مَغَبَّتِهَا

لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

وَكَانَتْ هَذِهِ العُقُوبَةُ غِيرَةً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِوَلِيِّهِ صَاحِبِ المِسْحَاةِ(٣٤).

كَمَا جَاءَ عَنْهُ تَعَالَىٰ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ: «مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالمُحَارَبَةِ»(٣٥). وَكَمَا قَالَ: «إِنَّ سَعْدًا لَغَيُورٌ، وَإِنَّ اللهَ لَأَغْيَرُ مِنْ سَعْدٍ»(٣٦).

تبقى عواقب سوء من مغبتها ❁

❁ لا خير في لذة من بعدها النار

وكانت هذه العقوبة عبرة من الله عز وجل

لوليه صاحب المسحاة ❁ كما جاء عنه

تعالى في بعض كتبه ❁ من أهان لي

وليا فقد بارزني بالمحاربة ❁ وكما قال

إن سعدا لغيور وإن الله لأغير من سعد ❁

[٤٢/ ب] وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ

العِلْمِ قَالَ: كَانَ يَجْلِسُ إِلَيَّ رَجُلٌ شَيْخٌ،

فَأَيُّ شَيءٍ تَكَلَّمْتُ بِهِ مِنَ العُلُومِ بَكَىٰ،

حَتَّىٰ طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا

وَقَدْ خَلَوْنَا: أَرَاكَ مُلَازِمَ مَجْلِسِي، ثُمَّ لَا

تَسْأَلُنِي عَنْ شَيءٍ، وَلَا أَزَالُ أَرَاكَ بَاكِيًا،

فَمَا حَالُكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي، اعْلَمْ

أَنِّي كُنْتُ أَشْتَرِي الغِلْمَانَ وَأَبِيعُهُمْ

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ
كَانَ يَجْلِسُ إِلَيَّ رَجُلٌ شَيْخٌ فَأَيُّ شَيْءٍ
تَكَلَّمْتُ بِهِ مِنَ الْعُلُومِ بَكَا حَتَّى طَالَ ذَلِكَ
عَلَيَّ ❁ فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا وَقَدْ خَلَوْنَا أَرَاكَ
مُلَازِمَ مَجْلِسِي ثُمَّ لَا تَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلَا أَزَالُ
أَرَاكَ بَاكِيًا فَمَا حَالُكَ فَقَالَ نَعَمْ يَا سَيِّدِي
أَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَشْتَرِي الْغِلْمَانَ وَأَبِيعُهُمْ

[٤٣/أ] لِلْفَائِدَةِ، فَوَقَعَ لِي غُلَامٌ وَضِيءُ الوَجْهِ، كَامِلُ الخِلْقَةِ، وَكَانَ دُوْنَ البُلُوْغِ. فَابْتَعْتُهُ بِثَلَاثِ مِئَةِ دِينَارٍ، وَزَيَّنْتُهُ وَهَيَّأْتُهُ لِمَنْ يَرْغَبُ فِي شِرَائِهِ.

فَاجْتَازَ بِنَا يَوْمًا غُلَامٌ شَابٌّ حَسَنُ الوَجْهِ عَلَىٰ دَابَّةٍ لَهُ، فَلَمَّا رَأَىٰ الغُلَامَ قَالَ: هَلْ عَلَىٰ هَذَا سَوْمٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَقَلَّبَ الغُلَامَ

لِلْفَائِدَةِ فَوَقَعَ لِي غُلَامٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ
كَامِلُ الْخِلْقَةِ وَكَانَ دُونَ الْبُلُوغِ
فَابْتَعْتُهُ بِثَلَثِ مِائَةِ دِينَارٍ وَزَيَّنْتُهُ وَهَيَّأْتُهُ
لِمَنْ يَرْغَبُ فِي شِرَائِهِ ❁ فَاجْتَازَ بِنَا
يَوْمًا غُلَامٌ شَابٌّ حَسَنُ الْوَجْهِ عَلَى دَابَّةٍ لَهُ
فَلَمَّا رَأَى الْغُلَامَ قَالَ هَلْ عَلَى هَذَا سُومٌ
قُلْتُ نَعَمْ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَقَلَّبَ الْغُلَامَ

[٤٣/ب] وَاسْتَعْلَمَ جِنْسَهُ وَاسْمَهُ

وَمَا يُحْسِنُ، ثُمَّ وَضَعَ فِي يَدِهِ شَيْئًا

مِنَ الذَّهَبِ هِبَةً لَهُ، ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ

وَمَضَىٰ. فَلَمَّا كَانَ فِي اليَوْمِ الثَّانِي

عَادَ واسْتَامَ الغُلَامَ، وَلَمْ يَنْتَظِمْ بَيْنِي

وَبَيْنَهُ أَمْرٌ. فَلَمَّا كَانَ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ

جَاءَ فِي طَلَبِ الغُلَامِ، وَاشْتَرَاهُ بِمَا

وَقَعَ عَلَيْهِ الاتِّفَاقُ مِنَ الثَّمَنِ دُونَ

وَاسْتَعْلَمَ جِنْسَهُ وَاسْمَهُ وَمَا يُحْسِنُ ثُمَّ
وَضَعَ فِي يَدِهِ شَيْئًا مِنَ الذَّهَبِ هِبَةً لَهُ
ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ وَمَضَى ۞ فَلَمَّا كَانَ
فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَادَ وَاسْتَامَ الْغُلَامَ
وَلَمْ يَنْتَظِمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَمْرٌ فَلَمَّا كَانَ
فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ جَاءَ فِي طَلَبِ الْغُلَامِ وَاشْتَرَاهُ
بِمَا وَقَعَ عَلَيْهِ الِاتِّفَاقُ مِنَ الثَّمَنِ دُونَ

[٤٤/أ] القَبْضِ، عَلَىٰ شَرْطِ أَنْ يَسْبُرَ عَقْلَهُ وَأَمَانَتَهُ، وَأَنَّهُ خَالٍ مِنَ العُيُوبِ الَّتِي تَفْسَخُ عَقْدَ المَبِيعِ، وَسَلَّمْتُ الغُلَامَ إِلَيْهِ عَلَىٰ الشُّرُوطِ المُتَّفَقِ عَلَيْهَا، وَحَمَلْتُهُ مَعَهُ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ عَشِيًّا. فَلَمَّا كَانَ الغَدَاةُ أَقْبَلَ الغُلَامُ بَاكِيًا جَزِعًا فَقُلْتُ: وَيْحَكَ، مَا شَأْنُكَ؟ وَمِمَّ هَذَا البُكَاءُ وَالجَزَعُ؟

الْقَبْضِ عَلَى شَرْطِ أَنْ يَسْبُرَ عَقْلَهُ وَأَمَانَتَهُ
وَأَنَّهُ خَالٍ مِنَ الْعُيُوبِ الَّتِي تَفْسَخُ عَقْدَ
الْبَيْعِ وَسَلَّمْتُ الْغُلَامَ إِلَيْهِ عَلَى الشُّرُوطِ
الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا وَحَمَلْتُهُ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ
عَشِيًّا ❁ فَلَمَّا كَانَ الْغَدَاةَ أَقْبَلَ
الْغُلَامُ بَاكِيًا جَزِعًا فَقُلْتُ وَيْحَكَ
مَا شَأْنُكَ وَمِمَّ هَذَا الْبُكَاءُ وَالْجَزَعُ

[٤٤/ب] فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ، مَاتَ وَاللهِ الشَّابُّ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ. فَقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ أَخْبِرْنِي بِأَيِّ سَبَبٍ مَاتَ؟ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ، دَخَلْتُ مَعَهُ مَنْزِلَهُ، فَأَحْضَرَ طَعَامًا فَأَكَلْتُ وَغَسَلْتُ يَدِي، وَأَتَىٰ بِطِيْبٍ فَطَيَّبَنِي وَوَضَعَ مَنَامًا فَنَيَّمَنِي. ثُمَّ قَالَ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ثُمَّ وَضَعَ إِصْبَعَهُ السَّبَّابَةَ عَلَىٰ

فقال يا مولاي مات والله الشاب في هذه
الساعة فقلت له ويحك أخبرني بأي سبب
مات وكيف كان ذلك فقال يا مولاي
دخلت معه منزله فأحضر طعاما فأكلت
وغسلت يدي وأتى بطيب فطيبني ووضع
منامًا فنمت ❁ ثم قال إنا لله وإنا إليه
راجعون ثم وضع إصبعه السبابة على

[٤٥/ أ] خَـدِّي، ثُـمَّ قَـالَ: أَشْـهَدُ إِنَّـكَ لَحَسَـنٌ، وَمَـا تَدْعُوْنِـي نَفْسِـي إِلَيْـهِ مِنْـكَ لَقَبِيـحٌ، وَمَـا وَعَـدَ اللهُ عَلَيْـهِ مِـنَ العُقُوبَـةِ أَقْبَـحُ وَأَشَـدُّ. ثُـمَّ قَـالَ: لَا حَـوْلَ وَلَا قُـوَّةَ إِلَّا بِـاللهِ، وَإِنَّـا إِلَيْـهِ رَاجِعُـونَ. ثُـمَّ وَضَـعَ إِصْبَعَـهُ عَلَىٰ خَـدِّي أَيْضًـا ثُـمَّ قَالَ: أَشْـهَدُ إِنَّـكَ لَحَسَـنٌ، وَالعِفَّـةُ عَنْكَ أَحْسَـنُ مِنْكَ، وَمَـا وَعَـدَ اللهُ عَلَيْهَـا مِـنَ الخَيْـرِ وَالثَّـوَابِ

خَدّى ثُمّ قَالَ أَشْهَدُ إِنَّكَ لَحَسَنٌ وَمَا تَدْعُو
نَفْسِيَ إِلَيْهِ مِنْكَ لَقَبِيحٌ وَمَا وَعَدَكَ اللّٰهُ عَلَيْهِ
مِنَ الْعُقُوبَةِ أَقْبَحُ وَأَشَدُّ ۞ ثُمّ قَالَ
لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
ثُمّ وَضَعَ إِصْبَعَهُ عَلَى خَدِّى أَيْضًا ثُمّ قَالَ
أَشْهَدُ إِنَّكَ لَحَسَنٌ وَالْعِفَّةُ عَنْكَ أَحْسَنُ
مِنْكَ وَمَا وَعَدَكَ اللّٰهُ عَلَيْهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالثَّوَابِ

[٤٥/ ب] أَحْسَنُ وَأَحْسَنُ. ثُمَّ سَقَطَ،

فَحَرَّكْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ. قَالَ الشَّيْخُ:

فَأَنَا أَبْكِي عَلَىٰ ذَلِكَ وَظُرْفِهِ وَعِفَّتِهِ

وَحُسْنِهِ إِلَىٰ أَنْ أَمُوتَ. فَقُلْتُ لَهُ:

وَاللهِ يَحِقُّ لَكَ البُكَاء عَلَيْهِ رَحِمَهُ اللهُ.

فَلْيَعْتَبِرْ الوَاقِفُ عَلَىٰ هَذَا

وَيَنْظُرْ فِي قِصَّةِ هَذَا الفَتَىٰ

وَعِفَّتِهِ وَجِهَادِهِ لِعَدُوِّهِ الشَّيْطَانِ،

أَحْسَنَ وَأَحْسَنَ ۞ ثُمَّ سَقَطَ فَحَرَّكْنَاهُ
فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ فَقَالَ الشَّيْخُ فَأَنَا
أَبْكِي عَلَى ذَلِكَ وَظَرْفِهِ وَعِفَّتِهِ وَحُسْنِهِ
إِلَى أَنْ أَمُوتَ فَقُلْتُ لَهُ وَاللَّهِ يَحِقُّ لَكَ
الْبُكَا عَلَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ ۞ فَلْيَعْتَبِرِ
الْوَاقِفُ عَلَى هَذَا وَيَنْظُرْ فِي قِصَّةِ هَذَا
الْفَتَى وَعِفَّتِهِ وَجِهَادِهِ لِعَدُوِّهِ الشَّيْطَانِ

[٤٦/أ] وَحُسْنِ صَبْرِهِ مَعَ القُدْرَةِ وَالتَّمَكُّنِ لِمُبَاشَرَةِ الفِتْنَةِ إِلَىٰ أَنْ زَهَقَتْ نَفْسُهُ خَوْفًا مِنْ خَالِقِهِ، وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الأَجْرِ العَظِيمِ وَالثَّوَابِ الجَزِيلِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠- ٤١].

فَتَيَقَّظْ أَيُّهَا الإِنْسَانُ، وَاسْأَلِ اللهَ العِصْمَةَ مِنْ مُقَارَفَةِ الفِتْنَةِ،

وَحُسْنِ صَبْرِهِ مَعَ الْقُدْرَةِ وَالتَّمَكُّنِ
لِمُبَاشَرَةِ الْفِتْنَةِ إِلَى أَنْ زَهَقَتْ نَفْسُهُ خَوْفًا
مِنْ خَالِقِهِ وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ
وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ قَالَ اللهُ تَعَالَى وَأَمَّا
مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۞ فَتَيَقَّظْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
وَاسْأَلِ اللهَ الْعِصْمَةَ مِنْ مُقَارَفَةِ الْفِتْنَةِ

الخط

[٤٦/ ب] وَلَا تَظُنَّ أَنَّكَ خَلَوْتَ بِهَا، وَلَكِنْ خُلِيَ بِكَ، وَلَا ظَفِرْتَ بَلْ ظُفِرَ بِكَ.

وَقَالَ بَعْضُ الحُكَمَاء: لَيْسَ الخَائِفُ مَنْ بَكَىٰ وَعَصَرَ عَيْنَهُ، وَإِنَّمَا الخَائِفُ مَنْ تَرَكَ مَا يَخَافُ أَنْ يُعَذَّبَ عَلَيْهِ.

وَيَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَكُوْنَ وَافِرَ العَقْلِ، ذَا فِطْنَةٍ، يَنْظُرُ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ وَمَبَادِئِهَا. وَيَكُونُ فِي تَدَبُّرِ الحِيَلِ مَعَ عَدُوِّهِ كَاللَّاعِبِ

وَلَا تَظُنَّ أَنَّكَ خَلَوْتَ بِهَا وَلَكِنْ خَلَى بِكَ

وَلَا ظَفِرْتَ بَلْ ظَفِرَ بِكَ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَا

لَيْسَ الْخَائِفُ مَنْ بَكَا وَعَصَرَ عَيْنَهُ وَإِنَّمَا

الْخَائِفُ مَنْ تَرَكَ مَا يَخَافُ أَنْ يُعَذَّبَ

عَلَيْهِ وَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ وَافِرَ الْعَقْلِ

ذَا فِطْنَةٍ يَنْظُرُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَمَبَادِيهَا

وَيَكُونُ فِي تَدَبُّرِ الْحِيَلِ مَعَ عَدُوِّهِ كَاللَّاعِبِ

[٤٧/أ] بِالشِّطْرَنْجِ. كَمَا رُوِيَ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: أَنَّهُ لَمَّا أَسَنَّ اعْتَرَاهُ أَرَقٌ، فَكَانَ إِذَا غَفِيَ أَيْقَظَتْهُ النَّوَاقِيسُ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ دَخَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا مَعَاشِرَ العَرَبِ، هَلْ فِيْكُمْ فَتًى يَفْعَلُ مَا آمُرُهُ وَأُعْطِيهِ ثَلَاثَ دِيَاتٍ، أُعَجِّلُ وَاحِدَةً وَعِنْدَ عَوْدِهِ يَأْخُذُ الدِّيَتَيْنِ؟ فَقَالَ فَتًى مِنْ غَسَّانَ: أَنَا يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ.

بالشطرنج كما روي عن معاوية بن أبي سفيان
أنه لما اسن اعتراه أرق فكان إذا غفى
أيقظته النوافيس ❁ فلما أصبح دخل الناس
عليه فقال يا معاشر العرب هل فيكم فتى
يفعل ما آمره وأعطيه ثلث ديات أعجل
واحدة وعند عوده يأخذ الديتين ❁
فقال فتى من غسان أنا يا أمير المؤمنين

قال

[٤٧/ ب] قَالَ: تَذْهَبُ بِكُتُبِي إِلَىٰ مَلِكِ الرُّومِ، وَإِذَا صِرْتَ إِلَىٰ بِسَاطِهِ أَذَّنْتَ. قَالَ: لَقَدْ كَلَّفْتَ صَغِيرًا، وَأَعْطَيْتَ كَثِيرًا. فَكَتَبَ لَهُ وَخَرَجَ، فَلَمَّا صَارَ عَلَىٰ بِسَاطِ مَلِكِ الرُّومِ أَذَّنَ، فَتَأَخَّرَتِ البَطَارِقَةُ وَاخْتَرَطُوا سُيُوفَهُمْ، فَسَبَقَ إِلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ فَجَثَا عَلَيْهِ، وَحَلَّفَهُمْ بِحَقِّ عِيسَىٰ وَبِحَقِّهِ إِلَّا كَفُّوا عَنْهُ. ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ إِلَىٰ سَرِيرِهِ

قَالَ نَذْهَبُ بِكُتُبِي إِلَى مَلِكِ الرُّومِ وَإِذَا صِرْتَ
إِلَى بِسَاطِهِ أَذِنْتَ قَالَ لَقَدْ كَلَّفْتَ صَغِيرًا
وَأَعْطَيْتَ كَثِيرًا ۞ فَكَتَبَ لَهُ وَخَرَجَ
فَلَمَّا صَارَ عَلَى بِسَاطِ مَلِكِ الرُّومِ أَذِنَ فَتَأَخَّرَتِ
الْبَطَارِقَةُ وَاخْتَرَطُوا سُيُوفَهُمْ فَسَبَقَ إِلَيْهِ مَلِكُ
الرُّومِ فَجَثَا عَلَيْهِ وَحَلَفَهُمْ بِحَقِّ عِيسَى وَبِحَقِّهِ
إِلَّا كَفُّوا عَنْهُ ۞ ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ إِلَى سَرِيرِهِ

[٤٨/ أ] وَصَعَدَ بِهِ، ثُمَّ جَعَلَهُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ البَطَارِقَةِ، اعْلَمُوا أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ أَسَنَّ، وَمَنْ أَسَنَّ أَرِقَ. وَقَدْ أَخَذَتْهُ النَّوَاقِيسُ فَأَرَادَ أَنْ يُقْتَلَ هَذَا العَرَبِيُّ عَلَىٰ الأَذَانِ فَيَقْتُلُ مَنْ عِنْدَهُ مِنَّا بِبِلَادِهِ عَلَىٰ النَّوَاقِيسِ. وَبِاللهِ لَيَرْجِعَنَّ إِلَيْهِ عَلَىٰ خِلَافِ مَا ظَنَّ. وَكَسَاهُ وَجَمَّلَهُ. فَلَمَّا عَادَ

وَصَعَدَ بِهِ ثُمَّ جَعَلَهُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ثُمَّ قَالَ
يَا مَعْشَرَ الْبَطَارِقَةِ اعْلَمُوا أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ
أَسَنَّ وَمَنْ أَسَنَّ أَرَقَّ ❁ وَقَدْ أَخَذَتْهُ
النَّوَاقِيسُ فَأَرَادَ أَنْ يُقْتَلَ هَذَا الْعَرَبِيَّ عَلَى
الْأَذَانِ ❁ فَيَقْتُلُ مَنْ عِنْدَهُ مِنَّا بِبِلَادِهِ
عَلَى النَّوَاقِيسِ وَبِاللَّهِ لَيَرْجِعَنَّ إِلَيْهِ عَلَى
خِلَافِ مَا ظَنَّ وَكَسَاهُ وَحَمَلَهُ. فَلَمَّا عَادَ

[٤٨/ب] إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ قَالَ: أَوَقَدْ جِئْتَنِي سَالِمًا؟ قَالَ: أَمَّا مِنْ قِبَلِكَ فَلَا.

فَلْيَنْظُرِ المَلِكُ اللَّبِيبُ، وَالفَطِنُ الأَرِيبُ وَيُجَرِّدْ ثَاقِبَ فَهْمِهِ إِلَىٰ صُنْعِ مُعَاوِيَةَ وَتَوَصُّلِهِ إِلَىٰ اسْتِئْصَالِ عَدُوِّهِ بِحِذْقِ مَكْرِهِ وَلُطْفِ حِيلَتِهِ. ثُمَّ اعْتَبِرْ بِيَقَظَةِ مَلِكِ الرُّومِ وَفِطْنَتِهِ وَسُرْعَةِ

إِلَى مُعَاوِيَةَ ۞ فَقَالَ أَوَقَدْ جِئْتَنِي
سَائِلاً ۞ قَالَ أَمَا مِنْ قِبَلِكَ فَلَا ۞ فَلْيَنْظُرِ
الْمَلِكُ اللَّبِيبُ ۞ وَالْفَطِنُ الْأَرِيبُ
وَيُجَرِّدْ ثَاقِبَ فَهْمِهِ إِلَى صُنْعِ مُعَاوِيَةَ
وَتَوَصُّلِهِ إِلَى اسْتِبْصَالِ عَدُوِّهِ ۞ بِحَذْقِ
مَكْرِهِ وَلُطْفِ حِيلَتِهِ ۞ ثُمَّ اعْتَبِرْ
بِيَقْظَةِ مَلِكِ الرُّومِ وَفِطْنَتِهِ وَسُرْعَةِ

[٤٩/أ] مَعْرِفَتِهِ بِمَقْصُودِ مُعَاوِيَةَ.

وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ خَوَاصِّ أَسْرَارِ

اللهِ فِي المُلُوكِ، وَاللهُ المُوَفِّقُ بِمَنِّهِ

وَكَرَمِهِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عَبِيدِهِ وَخَلْقِهِ.

وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ

وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ

النَّبِيِّينَ وَإِمَامِ المُتَّقِينَ وَرَسُولِ

مَعْرِفَتِهِ بِمَقْصُودِ مُعَاوِيَةَ ۞ وَلَبْسَ
ذَلِكَ إِلَّا مِنْ خَوَاصِّ أَسْرَارِ اللهِ فِي الْمُلْكِ
وَاللهُ الْمُوَفِّقُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ لِمَنْ يَشَاءُ
مِنْ عَبِيدِهِ وَخَلْقِهِ ۞ وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ ۞ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
خَاتِمِ النَّبِيِّينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ ۞ وَرَسُولِ

[٤٩/ ب] العَالَمِينَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا دَائِمًا أَبَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ. وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

كتبه المملوك

جان تمر من ارْكماس

من طبقة الزمامية[٣٧] الملكي

الأشرفي

العالمين ۞ وعلى آله وصحبه أجمعين
وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين
۞ والحمد لله رب العالمين ۞

الهوامش

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري** (بولاق: المطبعة الأميرية، ١٣١١-١٣١٣هـ)، ١: ١٣٣؛ مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم** (إسطنبول: المطبعة العامرة، ١٣٣٤هـ)، ٣: ٩٣.

(٢) البخاري، ٩: ٦٢؛ مسلم، ٦: ٨. وفي اللفظ اختلاف عن الصحيحين.

(٣) أحمد بن عمر البزار، **البحر الزخار المعروف بمسند البزار**، ج١٢، تحقيق: عادل بن سعد (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ١٧.

(٤) المِخْرَف: زبيل صغير يُخْتَرَفُ فيه من أطايب الرُّطَب. راجع: علي بن إسماعيل بن

سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرين (مصر: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ١٣٧٧-١٣٩٣هـ/ ١٩٥٨-١٩٧٣م)، ٥: ١٠٥.

(٥) رَثَّةُ الهيئة. راجع: محمد بن أحمد الأزهري، **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين (مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت)، ١٤: ٤١٥.

(٦) يحيىٰ بن أَكْثَم بن محمد بن قَطَنْ التَّمِيمِيُّ الأُسَيِّدِيّ المَرْوَزِيُّ. قاضي القضاة في عهد الخليفة المأمون. وكان قد اتصل بالمأمون في مَرْو، فكان أول ما ولّاه قضاء البصرة، ثم قضاء القضاة في بغداد. وكان مُقرّبًا جدًّا من المأمون، ووصل منه إلىٰ منزلة لا يتقدّمه فيها أحد. توفي في الرَّبَذَةِ وهو في طريقه إلىٰ بغداد، عائدًا من مكة سنة ٢٤٢هـ/ ٨٥٧م. انظر

عنه: وكيع محمد بن خلف بن حيان، **أخبار القضاة**، تحقيق: عبد العزيز مصطفىٰ المراغي (الرياض: مكتبة المدائن، د.ت، مصورة عن: القاهرة: المطبعة التجارية الكبرىٰ، ١٣٦٧-١٣٧٠هـ/ ١٩٤٧-١٩٥٠م)، ٣: ٢٧٣؛ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ١٦: ٢٨٢؛ علي بن الحسن ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥- ١٤٢١هـ/ ١٩٩٥-٢٠٠٠م)، ٦٤: ٦٢؛ أحمد بن محمد ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ٦:

١٤٧؛ محمد بن أحمد الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ٥: ١٢٨٠.

(٧) أحمد بن أبي خالد يزيد بن عبد الرحمن، الكاتبُ الأحولُ. استوزره المأمون بعد الفَضْل بن سَهْل، وكان أبوه أبو خالد كاتبًا لوزير الخليفة المهدي. توفي سنة ٢١١هـ/ ٨٢٧م، وقيل فِي ٢١٢هـ/ ٨٢٨م. انظر: أحمد بن أبي طاهر طيفور، **كتاب بغداد**، تحقيق: هانس كيلير (بيروت: دار الجنان، د. ت)، ١١٨؛ ابن عساكر، ٦: ٩٧؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ٥: ٢٦٢.

(٨) زيد بن أَسْلَم القُرَشِيُّ العَدَوِيُّ المَدَنِيُّ، مولىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه. تابعي فقيه. توفي بالمدينة سنة ١٤٣هـ/ ٧٦٠م. انظر عنه:

محمد بن سعد، **الطبقات الكبير**، تحقيق: علي محمد عمر (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ٧: ٥٠٧؛ ابن عساكر، ١٩: ٢٧٤؛ يوسف بن عبد الرحمن المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ١٠: ١٢؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ٣: ٦٥٦.

(٩) بَطَّ الجُرْحَ بَطًّا، إذا شَقَّهُ. وشَقَّ الدُّمَّلَ والخُرَّاجَ ونحوهما. راجع: الأزهري، ١٣: ٣٠٥؛ المبارك بن محمد ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: محمود الطناحي وطاهر الزاوي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ١: ١٣٥.

(١٠) شَاطَ الشَّيءُ، أي احْتَرَق. راجع: علي بن إسماعيل ابن سيده، **المخصص** (مصر:

المطبعة الأميرية، ١٣٢١هـ)، ١٥: ٢٤؛ محمد بن الحسن بن دريد، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي بعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ٢: ٨٦٨.

(١١) لعله أراد «ابْنَ عَمِّ الحَجَّاج» فسقطت الأخيرة. انظر: حسين بن محمد الراغب الأصبهاني، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء** (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت)، ١: ١٧٨.

(١٢) يوسف بن عمر بن محمد الثَّقَفِيُّ، ابن عم الحجاج بن يوسف. ولاه هشام بن عبد الملك اليمن، ثم ولاه العراق. وبقي عليها إلىٰ أن هرب منها إلىٰ الأردن في عهد يزيد بن الوليد، فقُبض عليه وسُجن، ثم قتله يزيد بن خالد القَسْرِيّ بأبيه سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٥م. وفيه قيل المثل: «أَتَيْتَهُ مِنْ أَحْمَقِ ثَقِيفٍ». انظر:

الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، **جمهرة الأمثال**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش (بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ١: ٢٨٥؛ ابن خلكان، ٧: ١٠١؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ٣: ٥٧١.

(١٣) ابن عساكر، ٤٤: ٣٢٠.

(١٤) أحمد بن شعيب النسائي، **السنن الكبرىٰ** (القاهرة: دار التأصيل، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، ٦: ٤٧٤؛ سليمان بن أحمد الطبراني، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ٣: ١٢٣؛ علي بن عمر الدارقطني، **سنن الدارقطني**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)،

٥: ٣٦٤.

(١٥) محمد بن عيسىٰ الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م)، ٣: ٦؛ الطبراني، ٧: ٣٩.

(١٦) أبو أمية شُرَيْحُ بن الحارث بن قيس بن الجَهْمِ بن معاوية بن عامر الكِنْدِيُّ القاضي. ويقال: شُرَيْحُ بن شَرَاحِيلَ، وابن شُرَحْبِيلَ. تابعي، أدرك الجاهلية، ووفد من اليمن بعد النبي ﷺ، ووليَ قضاء الكوفة لعمر رضي الله عنه، فأقام فيها قاضيًا ستين سنة، وقضىٰ بالبصرة سنة واحدة، ثم استعفىٰ الحجاج بن يوسف فأعفاه. واختُلف في سنة وفاته، فقيل: في ٧٨هـ/ ٦٩٧م، و٨٠هـ/ ٦٩٩م، و٨٢هـ/ ٧٠١م، و٨٧هـ/ ٧٠٦م، و٩٧هـ/ ٧١٦م، و٩٩هـ/ ٧١٨م. انظر: وكيع، ٢: ١٨٩؛ الدارقطني، المؤتلف

والمختلف، ٣: ١٢٧٥؛ ابن عساكر، ٢٣: ٧؛ ابن خلكان، ٢: ٤٦٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢: ٨٢١.

(١٧) أبو بكر محمد بن حُرَيْث بن عبد الرحمن بن حَاشِد الأنْصَارِيُّ البُخَارِيُّ. حافظ مُحَدِّثٌ لَهُ مُسْنَد. توفي سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م. انظر: علي بن هبة الله ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنىٰ والأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي ومحمد الهاشمي (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨١-١٤٠٨هـ/ ١٩٦١-١٩٨٨م)، ٢: ٥٤١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٧: ٥٤.

(١٨) أبو عمرو نَصْرُ بن علي بن نصر بن علي بن صُهْبَان بن أُبَيّ الجَهْضَمِيُّ الأزْدِيُّ البَصْرِيُّ. حافظ مُحَدِّثٌ كبير. وكان الذي أراده للقضاء

الخليفة المستعين بالله (٢٤٨-٢٥٢هـ/ ٨٦٢-٨٦٦م). توفي سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م. وَالجَهْضَمِيُّ: نسبة إلىٰ «الجَهَاضِمَةِ»: محلة بالبصرة سُمِّيت بمن سكنها من الجَهَاضِمَةُ من الأَزْدِ. انظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ١٥: ٣٨٩؛ عبد الكريم بن محمد السمعاني، **الأنساب**، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي وآخرين (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٢-١٤٠٢هـ/ ١٩٦٢-١٩٨٢م)، ٣: ٣٩١؛ علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير، **اللباب في تهذيب الأنساب** (بغداد: مكتبة المثنىٰ، د.ت)، ١: ٣١٦؛ المزي، ٢٩: ٣٥٥؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ٥: ١٢٦٥.

(١٩) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن وَاضِح الحَنْظَلِيُّ، مولاهم، المَرْوَزِيُّ الإمام الحافظ، من أئمة المُحَدِّثِين الكبار. مُكثر في الترحال للقاء التابعين وطلب العلم. وترجمته

حافلة جدًّا. توفي سنة ١٨١هـ/ ٧٩٧م. انظر: ابن عساكر، ٣٢: ٣٩٦؛ ابن خلكان، ٣: ٣٢؛ المزي، ١٦: ٥؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ٤: ٨٨٢.

(٢٠) أبو زَرْعَةَ حَيْوَةُ بن شُرَيْح بن صَفْوَان التُّجِيبِيُّ المِصْرِيُّ، فقيهٌ كبيرٌ، زاهدٌ عابدٌ. اختُلف في تاريخ وفاته، فقيل: في سنة ١٥٣هـ/ ٧٧٠م، و١٥٨هـ/ ٧٧٥م، و١٥٩هـ/ ٧٧٦م. والتُّجِيبِيُّ نسبة إلىٰ «تُجِيبُ» محلة بالفسطاط سُمِّيت باسم قبيلة من بني الأَشْرَسِ بن كِنْدَةَ نزلت مصر. انظر: ابن سعد، ٩: ٥٢٢؛ علي بن أحمد ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢م)، ٤٢٩؛ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، **المتفق والمفترق**، تحقيق: محمد الحامدي (دمشق: دار القادري، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ١: ٧٠٥؛ السمعاني، ٣:

٢٤؛ المزي، ٧: ٤٧٨؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ٤: ٤٤.

(٢١) أبو عَوْنٍ عبد الملك بن يزيد الأَزْدِيُّ، مولاهم، أحد قادة بني العباس، ولِيَ مصر في خلافة أبي العباس السَّفَّاحِ (١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٥٠-٧٥٤م) مرّتين. انظر: محمد بن يوسف الكندي، **كتاب الولاة وكتاب القضاة**، تصحيح: رفن كَست (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م)، ٧٧؛ ابن عساكر، ٣٧: ١٨٠.

(٢٢) أبو عيسىٰ عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ يَسَار، وقيل: داود، وقيل: بلال بن بُلَيْل الأَوْسِيُّ الأَنْصَارِيُّ الكُوفِيُّ، تابعي فقيه مُقرئ. شهد مع علي رضي الله عنه حرب الخوارج بالنَّهْرَوَان. ولاّه الحجاج قضاء الكوفة ثم عزله، وقُتل بدَيْرِ الجَمَاجِمِ سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م وكان مع ابن

الأَشْعَثِ. انظر: ابن سعد، ٨: ٢٢٩؛ وكيع، ٢: ٤٠٦؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١١: ٤٥٥؛ ابن عساكر، ٣٦: ٧٦؛ ابن خلكان، ٣: ١٢٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢: ٩٦٦.

(٢٣) أبو عبد الله سَوَّار بن عبد الله بن سَوَّار بن عَبْدِ الله بْن قُدَامة التَّمِيمِيُّ العَنْبَرِيُّ البَصْرِيُّ. فقيه أديب شاعر. نزل بغداد وولِيَ بها قضاء الرُّصَافَة. توفي ببغداد سنة ٢٤٥هـ/ ٨٦٠م. انظر: وكيع، ٢: ٥٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٠: ٢٩٠؛ المزي، ١٢: ٢٣٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤: ٧٠.

(٢٤) أبو عمر حفص بن غِيَاث بن طَلْق بن معاوية النَّخْعِيُّ الكُوْفِيُّ. ولاّه هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م) قضاء الشَّرْقِيَّة ببغداد سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م، ثم عزله واستقضاه علىٰ الكوفة. توفي سنة ١٩٤هـ/ ٨١٠م. انظر:

عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة (مصر: دار المعارف، ١٩٨١م)، ٥١٠؛ وكيع، ٣: ١٨٤؛ الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٩: ٦٨؛ المزي، ٧: ٥٦؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ٤: ١٠٩٤.

(٢٥) محلة بالجانب الغربي من بغداد، قيل لها الشَّرْقِيَّة لأنها شرقي مدينة المنصور. راجع: ياقوت الحموي، **معجم البلدان** (بيروت: دار صادر، د.ت.)، ٣: ٣٣٧.

(٢٦) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٩: ٧٠.

(٢٧) أبو عمر محمد بن يوسف بن إسماعيل بن حَمَّاد بن زيد الأَزْدِيُّ، مولاهم. مُحَدِّثٌ فقيهٌ. ولِيَ قضاء مدينة المنصور سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م، له مُسنَدٌ كبير، وكُتُب في التفسير والفقه. توفي في رمضان سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م.

راجع: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤: ٦٣٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٧: ٣٧٦.

(٢٨) يوسف بن يعقوب القاضي، والد محمد صاحب الترجمة في الهامش السابق. ويوسف هذا مُحدِّثٌ فقيه، ولِيَ قضاء البصرة وواسط سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م، ثم ضُمَّ إليه قضاء الجانب الشرقي. توفي في رمضان سنة ٢٩٧هـ/ ٩١٠م. راجع: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٦: ٤٥٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦: ١٠٦٩.

(٢٩) الأمير ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن أبي الهَيجَاء عبد الله بن حَمْدَان التَّغْلِبِيُّ، صاحب الموصل، وأخو سيف الدولة الحَمْدَانِي. توفي سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م. انظر: عمر بن أحمد ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار (بيروت: دار الفكر، د. ت)، ٥: ٢٤٣٣؛ ابن خلكان، ٢:

١١٤؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ٨: ١٢٤.

(٣٠) أبو فِرَاس الحَمْدَانِيُّ، الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حَمْدَان التَّغْلِبِيُّ، الشاعر المشهور، ابن عم ناصر الدولة سابق الذِّكر. توفي سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م. انظر: عبد الملك بن محمد الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرىٰ، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م)، ١: ٤٨؛ ابن خلكان، ٢: ٥٨؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ٨: ١١٣.

(٣١) الخُرْقُ: نقيض الرِّفْقِ، وصاحبه أَخْرَقُ. راجع: الأزهري، ٧: ٢٢.

(٣٢) أبو سَلَمَة حَمَّاد بن سَلَمَة بن دِينَار البَزَّازُ الخِرَقِيُّ البَطَائِنِيُّ. مُحدِّثٌ نَحوِيٌّ مُقرِئٌ. توفي سنة ١٦٧هـ/ ٧٨٤م. انظر: ابن قتيبة، ٥٠٣؛

علي بن يوسف القفطي، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ١: ٣٦٤؛ ياقوت الحموي، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م)، ٣: ١١٩٨؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ٤: ٣٤٢؛ محمد بن محمد الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق: ج. برجستراسر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ١: ٢٣٣.

(٣٣) أبو زيد عطاء بن السَّائِب بن مالك الثَّقَفِيُّ الكُوفِيُّ. مُحدِّثٌ مشهور. توفي سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٣م. انظر: ابن سعد، ٨: ٤٥٧؛ المزي، ٢٠: ٨٦؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ٣: ٦٩٨.

(٣٤) جعفر بن أحمد القاري، **مصارع العشاق** (الأستانة: مطبعة الجوائب، ١٣٠٢هـ)، ٣٩؛ محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ١: ٥٥٧.

(٣٥) الطبراني، **المعجم الأوسط**، ١: ١٩٢؛ علي بن أبي بكر الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ١٠: ٤٧٦.

(٣٦) الرواية المعروفة: «إِنَّ سَعْدًا لَغَيُورٌ، وَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَغْيَرُ مِنِّي». راجع: الطبراني، **المعجم الأوسط**، ٣: ١٦٠؛ الهيثمي، ٤: ٦٠١.

(٣٧) الخِصْيَانُ، خُدَّام قصر السلطان. راجع:

رينهـارت دوزي، **تكملـة المعاجـم العربيـة**، ترجمـة: محمـد سـليم النعيمـي وآخريـن (بغـداد: وزارة الثقافـة والإعـلام، دار الشـؤون الثقافيـة، ١٩٧٨-٢٠٠١م)، ٥: ٣٥٣-٣٥٤.

قائمة المصادر والمراجع

- الأبشيهي، محمد بن أحمد، **المستطرف في كل فن مستظرف** (مصر: مكتبة الجمهورية العربية، ١٣٨٥هـ).

- ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم، **اللباب في تهذيب الأنساب** (بغداد: مكتبة المثنى، د.ت).

- ابن الأثير، المبارك بن محمد، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: محمود الطناحي وطاهر الزاوي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

- الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين (مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت).

- البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري** (بولاق: المطبعة الأميرية، ١٣١١-١٣١٣هـ).

- البزار، أحمد بن عمر، **البحر الزخار المعروف بمسند البزار**، ج١٢، تحقيق: عادل بن سعد (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

- الترمذي، محمد بن عيسىٰ، **الجامع الكبير**، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م).

- الثعالبي، عبد الملك بن محمد، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرىٰ، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

- الجزري، محمد بن محمد، **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق: ج. برجستراسر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **الثبات عند الممات**، تحقيق: عبد الله الليثي الأنصاري (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

- ابن حزم، علي بن أحمد ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢م).

- ابن حمدون، محمد بن الحسن، **التذكرة الحمدونية**، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٩٦م).

■ الحموي، ياقوت، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م).

■ ====، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، د.ت.)، ٣: ٣٣٧.

■ الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

■ ====، المتفق والمفترق، تحقيق: محمد الحامدي (دمشق: دار القادري، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

■ ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

■ الدارقطني، علي بن عمر، سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).

■ ====، المؤتلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر (بيروت: دار الغرب الإسلامي،

١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

■ ابن دريد، محمد بن الحسن، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

■ دوزي، رينهارت، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة: محمد سليم النعيمي وآخرين (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية، ١٩٧٨-٢٠٠١م).

■ الذهبي، محمد بن أحمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

■ ====، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

■ ابن سعد، محمد بن سعد، **الطبقات الكبير**، تحقيق: علي محمد عمر (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

■ السمعاني، عبد الكريم بن محمد، **الأنساب**، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي وآخرين (حيدر أباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٢-١٤٠٢هـ/ ١٩٦٢-

١٩٨٢م).

■ ابـن سـيده، علـي بـن إسـماعيل، **المحكـم والمحيـط الأعظـم**، تحقيـق: عبـد السـتار أحمـد فـراج وآخريـن (مصـر: معهـد المخطوطـات بجامعـة الـدول العربيـة، ١٣٧٧-١٣٩٣هـ/ ١٩٥٨-١٩٧٣م).

■ ====، **المخصـص** (مصـر: المطبعـة الأميريـة، ١٣٢١هـ).

■ الصفـدي، الخليـل بـن أيبـك الصفـدي، **تصحيـح التصحيـف وتحريـر التحريـف**، تحقيـق: السـيد الشـرقاوي (القاهـرة: مكتبـة الخانجـي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

■ الطـبراني، سـليمان بـن أحمـد، **المعجـم الأوسـط**، تحقيـق: طـارق بـن عـوض الله بـن محمـد وعبـد المحسـن بـن إبراهيـم الحسـيني (القاهـرة: دار الحرميـن، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

■ طيفـور، أحمـد بـن أبـي طاهـر، **كتـاب بغـداد**، تحقيـق: هانـس كيليـر (بيـروت: دار الجنـان، د. ت).

■ ابـن العديـم، عمـر بـن أحمـد، **بغيـة الطلـب في تاريـخ حلـب**، تحقيـق: سـهيل زكار (بيـروت: دار الفكـر، د.

ت).

- ابن عساكر، علي بن الحسن، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥-١٤٢١هـ/ ١٩٩٥-٢٠٠٠م).

- القاري، جعفر بن أحمد، **مصارع العشاق** (الأستانة: مطبعة الجوائب، ١٣٠٢هـ).

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة (مصر: دار المعارف، ١٩٨١م).

- القفطي، علي بن يوسف، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

- الكندي، محمد بن يوسف، **كتاب الولاة وكتاب القضاة**، تصحيح: رفن كَست (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م).

- ابن ماكولا، علي بن هبة الله، **الإكمال في رفع**

الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنىٰ والأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي ومحمد الهاشمي (حيدر أباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨١-١٤٠٨هـ/ ١٩٦١-١٩٨٨م).

- المروذي، أحمد بن محمد، **أخبار الشيوخ وأخلاقهم**، تحقيق: عامر حسن صبري (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

- المزي، يوسف بن عبدالرحمن، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

- مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم** (اسطنبول: المطبعة العامرة، ١٣٣٤هـ).

- النسائي، أحمد بن شعيب، **السنن الكبرىٰ** (القاهرة: دار التأصيل، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).

- وكيع، محمد بن خلف بن حيان، **أخبار القضاة**، تحقيق: عبد العزيز مصطفىٰ المراغي (الرياض: مكتبة المدائن، د.ت، مصورة عن: القاهرة: المطبعة التجارية الكبرىٰ، ١٣٦٧-١٣٧٠هـ/ ١٩٤٧-١٩٥٠م).

■ أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، **جمهرة الأمثال**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش (بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

■ الهيثمي، علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).